إضاءات في أخلاقيّات
الحياة الزوجيّة في الإسلام

مفاهيم اجتماعيّة تربويّة قيميّة

في الحياة الزوجيّة والأسريّة

إضاءات في أخلاقيّات
الحياة الزوجيّة في الإسلام

مفاهيم اجتماعيّة تربويّة قيميّة

في الحياة الزوجيّة والأسريّة

أ. د. الشيخ محمّد شقير

دار المحجّة البيضاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

إهداء

إلى كلّ زوجة أرادت من زواجها الله فكان مرقاة إليه شوقاً إلى رضاه..

إلى كلّ مدبّرة منزل ترى في بيتها متراس جهاد...

إلى كلّ أمّ حملت في حشا القلب قبل الرحم..

فكان إيلادها تربية ورحمة

إلى كلّ أمّ مقاوم وأهله وعياله...

إلى كلّ أمّ شهيد وزوجته وأطفاله...

أهدي هذا العمل

محمّد شقير

المقدّمة

هذا الكتاب عبارة عن حوارات متلفزة أجريت في قناة المنار خلال ما يقرب من الأشهر الأربعة، وقد لاقت اهتمامًا من قِبل الكثير من المشاهدين. ممّا حفّز أكثر العمل عليها تقريرًا، بغية تقديمها إلى رجالنا ونسائنا وجميع المهتمّين ككتاب، يسهل العودة إليه والإستفادة منه متى أرادوا.

إنّ الدين والإسلام خاصّة معنيّ بقوّة بالحياة الأسريّة والعلاقة الزوجيّة، وقد أفرد الكثير من النصوص القرآنيّة والروائيّة للعناية بها، حيث إنّ هذه النصوص تبني منهجًا ورؤية وتلفت إلى الأولويّات وطبيعة الخطاب والأسلوب، وليست مجرّد مادة أو مفاهيم عقيمة، هذا إذا أحسنّا الاستفادة منها واستثمارها.

إنّ الذي بين أيدينا من النصوص الدينيّة الإسلاميّة التي تُعنى بالحياة الزوجيّة ومتعلّقاتها هو بمثابة كنز ثمين، يحتاج إلى أن تُدرك أهميّته، وكيفيّة الاستفادة منه، وخصوصًا ذلك البُعد

الأخلاقيّ والقيميّ والتربويّ الغنيّ جدًّا الموجود في ثنايا ذلك النصّ، وخصوصًا ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام.

لا يكفي أن يكون ذلك التراث الروائيّ الغنيّ والثمين موجودًا في بطون الكتب، بل ينبغي أن يعمل بقوّة على تسييله في ثقافتنا المجتمعيّة، وتحديدًا ما يرتبط منه بالجانب الأخلاقيّ والتربويّ وآداب المعاملة، وذلك لعلاج الاستغراق الحاصل من قبل مجتمعاتنا ومناهجنا الإسلاميّة في التربية الفقهيّة، حيث أدّى تغليب البعد الفقهيّ، على البُعد الأخلاقيّ في الخطاب والمناهج التعليميّة إلى إيجاد أكثر من خلل في ثقافتنا المجتمعيّة وإلى العديد من الاختلالات في حياتنا المجتمعيّة والأنماط السلوكيّة القائمة.

نحن نحتاج إلى إيجاد توازن في خطابنا الإسلاميّ بين مكوّنات ذلك الخطاب، حيث لا يغلب فيه أيّ مكوّن الآخر، ولا يتجاوز إطاره ليطغى على بقيّة المكوّنات، فليس من الصحيح تغليب الفقهيّ على الأخلاقيّ أو العقديّ، ولا الأخلاقيّ على العقديّ والفقهيّ، وهلمّ جرًّا. بل يجب أن يسود بينهم التوازن المنهجيّ والمدروس، كما التكامل في بلورة الرؤية وتكوين الخطاب، لأنّ أي تجاوز لأيّ مكوّن يمكن أن يؤدّي إلى هدم الرؤية ككلّ، كما أنّ أي اختلال في التوازن سيكون له نتائج سلبيّة على مستوى الثقافة القائمة والواقع الإجتماعيّ.

نحن نحتاج دومًا إلى إعادة النظر في خطابنا، وخصوصًا ما يرتبط منه بالحياة الأسريّة والعلاقة الزوجيّة، والعوامل التي يجب أن تسهم في تكوين ذلك الخطاب وبلورته لأنّ البعض منّا قد يعكس بصورة عفويّة وتلقائيّة المنهاج الذي تلقاه في الحوزات العلميّة ولغته، على خطابه التربويّ والمنهج المعتمد في تكوين ذلك الخطاب الموجّه للحياة الزوجيّة والأسريّة، فضلًا عن المنهاج التعليميّ الذي يدرس في المعاهد النسويّة ذات الصلة.

نعم ربّما يعمد البعض الآخر إلى تطعيم المنهاج التقليديّ المعتمد بمقرّرات ذات مضمون نسويّ وتربويّ وقيميّ. هذا العمل رغم أهميّته يبقى ناقصًا عن تلبية الحاجات القائمة ومعالجة الاختلالات الموجودة على المستوى الإجتماعيّ، وخصوصًا المجتمع النسويّ، لأنّه ليس المطلوب التطعيم بل التأصيل، وليس المطلوب إدخال مقرّرات دراسيّة جديدة إلى ذلك المنهاج أو إجراء تبديل أو آخر فيه، لأنّ هذا الأمر قد يؤدّي إلى نتائج سلبيّة عديدة: منها إثقال المنهاج التعليميّ من خلال رؤية واضحة ومنهج أصيل ودراية بمتطلّبات العصر، وهو ما يحتاج إلى الوعي والإرادة كما الشجاعة.

إنّ العديد من الوقائع في مجتمعاتنا تلحّ على ضرورة إجراء تلك المراجعة النقديّة دون إبطاء أو تأخير، مع أنّ البعض يؤكّد في مقارباته لقضايا نسويّة على تغليب البُعد

الفقهيّ في موارد تدغدغ مطالب بعض المجموعات الفكريّة والتيّار المدنيّ ومشاعرهم، في حين أنّ آخرين يمارسون هذا التأكيد نتيجة افتقادهم للتوازن في الرؤية والخطاب، فمثلًا يذكر البعض أنّ عمل المرأة في المنزل غير واجب فقهيًّا، هذا صحيح، لكن من قال إنّ الخطاب التربويّ الذي يقدّم للمجتمع النسويّ يجب أن يقتصر على بُعده الفقهيّ، أو أن يتمّ تغليب ذلك البُعد فيه؟ وهل عدنا إلى الروايات التي تشجع المرأة على أن تعمل في بيتها؟

سأقتصر فقط على ما قاله الإمام الصادق عليه السلام في هذا الموضوع: «**سألت أمّ سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن فضل النساء في خدمة أزواجهنّ، فقال: أيّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئًا من موضع إلى موضع، تريد به صلاحًا إلّا نظر الله إليها، ومن نظر إليه لم يعذّبه**[1]. ألا نفهم من هذه الرواية تشجيعًا للمرأة على خدمة زوجها والعمل في بيتها؟ وهل يوجد انفصام في النصّ الدينيّ بين البُعد الفقهيّ والبُعد القيميّ الأخلاقيّ؟ بالطبع لا، سوى أنّ الخطاب ـ فضلًا من الفهم ـ يجب أن يرتكز على جميع الأبعاد ذات الصلة، والذي نتيجته القول إنّه وإن كانت الشريعة لا توجب على المرأة ذلك العمل ولكن الدين يشجّعها

(١) ميزان الحكمة، الجزء ٣، الصفحتان ١١٨٥ و ١١٨٦.

على ذلك، ويبيّن لها الآثار الجميلة دنيويًّا وأخرويًّا التي تترتّب على ما تقوم به، والهدف من ذلك أنّ الإسلام أعطى مساحة واسعة في العلاقات الإجتماعيّة والحياة الزوجيّة للقيم الأخلاقيّة ودورها والآثار التي تترتّب عليها، بهدف بناء علاقة زوجيّة فيها الكثير من الحيويّة والجماليّة والسعادة المرتكزة على البعد القيميّ، والتي تضفيها قيم العطاء والوفاء والتضحية والمودّة والرحمة وغيرها من القيم ذات الصلة، فهل نقوم بتجريد حياتنا من تلك القيم لتبقى مجرّد علاقة قانونيّة لا روح فيها ولا حياة لديها؟ وهل من الصحيح أن نبني تلك العلاقة على مقولة الواجب لتغدو علاقة قانونيّة ميكانيكيّة جافّة وجامدة؟ لا مشاعر فيها ولا قيم لديها؟

في الصين، أجرت السلطات تعديلًا على بعض قوانينها يسمح للوالدين خصوصًا ـ كبار السن ـ بمقاضاة أولادهم إن هم قصّروا في زيارتهم، بحيث يمكن قانونيًّا إلزام الأولاد بزيارة والديهم! والسؤال: هل المقاربة القانونيّة تنشئ العلاقات الطبيعيّة والحميميّة بين الأرحام وغيرها؟

أيضًا ذكرت إحدى المجلّات أن مؤسّسة الإسكان السويديّة أطلقت حملة بقيمة ١٣٧ ألف دولار لتشجيع السكان على إلقاء التحيّة على جيرانهم! والسؤال: هل يمكن الاستغناء عن القيم الدينيّة وجاذبيّتها في التشجيع على العلاقات الطيّبة بين الناس؟

نقول في مقام الجواب إنّ الدين بقيمه وأخلاقه هو القادر على بناء الحياة الطيّبة لدى الناس والأرحام والجيران.

هل يراد لنا أن نصل إلى ما وصل إليه الآخرون، عندما أهملوا القيم والأخلاق واتبعوا لغة الأوامر بدل لغة المشاعر، وقدّسوا القانون وأقصوا الدين وقيمه وأخلاقه؟ وعندما يأتي البعض ويقول للمرأة: لا يجب عليك العمل في البيت، ألا يؤدّي ذلك إلى تشجيع المرأة على عدم العمل في بيتها وخدمة زوجها، مع ما يؤدّي إليه ذلك من مضاعفات اجتماعيّة، فهل يريد الإسلام تشجيعها على ذلك؟ أم أنّه يريد العكس منها؟ وإذا كان يريد منها ذلك المضمون الذي ذكرته رواية الإمام الصادق عليه السلام ولوازمه، لماذا لا يعمد أولئك إلى بناء خطابهم بشكل ينسجم مع شموليّة الدين وتوازن الخطاب وجماليّة القيم وقضايا المجتمع وحاجاته؟

كنت أستمع ذات يوم على إحدى الإذاعات الإسلاميّة إلى برنامج مخصّص للحياة الزوجيّة، فذهلت عندما سمعت أحدهم يشرح للمرأة الوسائل التي وفّرها الفقه لها لمواجهة زوجها، حيث كان البيان بيانًا حربيًّا يفترض أنّنا في ساحة معركة، وكأنّ العلاقة هي علاقة مجابهة ومواجهة، والمطلوب منه أن يزود كلا الطرفين بأدوات القتال فقهيًّا وقانونيًّا وغير ذلك! فتمنّيت ألا تكون امرأة تسمع هذا الكلام من شخص يفترض فيه أن يكون

أكثر وعيًا في الفهم والخطاب، وإلّا فإنّ أيّة امرأة تسمع هذا الكلام خصوصًا إذا كان يصدر من رجل دين، فإنّ كلامه يغريها بالإنزلاق أكثر إلى المشاكل مع زوجها وتخريب حياتها الزوجيّة، فهل هذا ما يريده لإسلام؟

نموذج آخر: يصرّ البعض على التأكيد على عدم وجوب أن ترضع المرأة أطفالها، وهذا صحيح فقهيًّا؛ ولكنّ السؤال نفسه: هل صحيح أن ينغلق الخطاب الدينيّ ذي العلاقة على ذاك البُعد الفقهيّ؟ وماذا نفعل بروايات أخرى واردة عن أهل البيت عليهم السلام في المضمون نفسه؟ وسأقتصر على ذكر هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمّ سلمة قال: «**... إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا تدري ما هو لعظمه، فإذا أرضعت كان لها بكلّ مصّة كعدل عتق محرّر من ولد اسماعيل، فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك على جنبيها وقال: استأنفي العمل فقد غفر لك**»[1].

ألا يُفهم من هذه الرواية التشجيع على إرضاع الأمّ لأولادها؟ وهنا أيضًا لا يوجد انفصام في الدين بين نصوصه، سوى إنّ الدين بنى موقفه بهذه الطريقة انسجامًا مع منطقه فيما

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ١٠١، الصفحة ١٠٦.

يرتبط بالحياة الأسريّة والعلاقة الزوجيّة، التي وإن أراد أن يضبط مفاصلها بأحكام الشريعة، لكنّه أراد أن يملأها بروح القيم وجمال الأخلاق، ليكون ذلك البُعد القيميّ الأخلاقيّ هو الأساس في صناعة تلك الحياة وتسيير شؤونها، انسجامًا مع ما جاء في القرآن الكريم من التأكيد على مفاهيم المودّة والرحمة وغيرها.

إنّ الإشكاليّة بالأساس هي إشكاليّة منهجيّة، فإذا سوّي المنهج أمكن تسوية بقيّة القضايا، وهذا المنهج يجب أن يُبنى على ما جاء في القرآن الكريم وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[1].

وعندما نأتي إلى القرآن الكريم والسنّة نلاحظ بشكلٍ أساس أمرين اثنين:

١ ـ إنّ المضمون الأخلاقيّ في النصّ الإسلاميّ أكبر وأكثر كما بالمقارنة مع غيره؛ وهذا ما يجب أن ينعكس في منهج الفهم والأولويّات والخطاب والمنهاج الدراسيّ...

٢ ـ إنّ النصّ الإسلاميّ ـ في جزء أساس منه ـ لا يعرض لأيّة قضيّة بمعزل عن جميع أبعادها، فالقرآن الكريم عندما يتناول قضيّة فقهيّة في آية أو آيات عديدة، تراه في

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ٢، الصفحة ١٠٠.

الآيات نفسها يربط الموضوع الفقهيّ بأبعاده الأخلاقيّة والعقديّة وغيرها، ليقول لنا إنّ منهج الفهم يجب أن يكون شموليًّا يشمل جميع الأبعاد ذات العلاقة، وكذلك الخطاب وغيره، فليس من الصحيح أن يختزل في بعض أبعاده، في حين تهمل بقيّة الأبعاد ذات العلاقة.

وحتّى لا نخرج كثيرًا عن إطار هذه المقدّمة نقول باختصار: إنّنا نحتاج إلى إعادة النظر في المنهج المعتمد لفهم الدين، وكذلك الخطاب، ولربّما يتطلّب هذا الموضوع بحثًا منفردًا يعالج إشكاليّات المنهج والخطاب، وأهميّة تطويره، لكن كإشارة عابرة لا بدّ من الإلفات إلى أنّ الهدف في وظيفة المنهج هو فهم الدين وليس فقط الشريعة، كما أنّ الهدف في وظيفة الخطاب هو بيان الكتاب وليس فقط الفقه.

في الموضوع الأوّل يقول تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾[1]. وفي الموضوع الثاني يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[2]. كما أنّ المشروع الإسلاميّ يهدف إلى إقامة الدين، وليس الإقتصار على تطبيق الشريعة ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[3].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.

لعلّ أكثر من سبب دعا إلى هذه المحاولة (حلقات العلاقة الزوجيّة وتقريرها) منها: أنّ عالم الدين معنيّ بشؤون الناس وأمورهم، وما يستشعره المرء من حاجة ماسّة للعناية بهذا الميدان الإجتماعيّ، والعديد من التجارب التي تدفع باتجاه هذا الإهتمام والتعبير عنه، حيث قد يوفّق الله تعالى المرء إلى أمور يرى من المسؤوليّة أن يوصل شيئًا منها لعموم الناس، وأن يوثقها بشكل مكتوب كي تبقى ـ إن شاء الله تعالى ـ صدقة جارية ننفع بها وننتفع بها في الدنيا والآخرة.

ختامًا ألفت النظر إلى أمور:

١ ـ قد يجد القارئ لغة تقترب أحيانًا من اللغة المتداولة، والسبب أنّها حوارات قرّرت لتكون هذا الكتاب.

٢ ـ إنّ الأسئلة الموجودة في المتن هي ما كان يطرح في الحلقات التلفزيونيّة، أبقينا على مجملها لدورها في تحديد الإجابات المطروحة.

٣ ـ لا ندّعي شمول جميع العناوين والموضوعات ذات الصلة، إنّما حاولنا التطرّق إلى ما أمكن من العناوين الهامّة بقدر ما أسعفنا وقت البرنامج.

إنّها محاولة لا ندّعي لها كمالًا، إنّما نرجو بها ثوابًا من الله تعالى، وأن تردنا في صحيفة أعمالنا نورًا وسرورًا، فقد جاء

عن رسول الله ﷺ: «**المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة سترًا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكلّ حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرّات**»[1].

ونرجو أن يكون المداد الذي نشرنا من ذاك الذي عناه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**إذا كان يوم القيامة، جمع الله عزّ وجل الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين، فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء**»[2].

وإن كنّا نسأله تعالى أن يجعلنا من العلماء الشهداء.

والحمد لله ربّ العالمين

محمّد شقير ـ بيروت

١٧ ـ ٣ ـ ٢٠١٣م الموافق
لـ ٥ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ
ذكرى ولادة السيّدة زينب عليها السلام

(١) ميزان الحكمة، الجزء ٦، الصفحة ٢٦٦٣.

(٢) ميزان الحكمة، الجزء ٥، الصفحة ٢٠٦٧.

وعي العلاقة الزوجيّة

يعتبر الزواج آية من آيات الله ﷻ، فهل يحتاج إلى وعي وفهم وإدراك خاص عبر إقامة دورات في التأهيل للدخول إلى الحياة الزوجيّة؟ وهل هناك حاجة لوعي الحياة الزوجيّة، أم أنّه أمر بديهيّ وفطريّ بأنّ يعلم كلّ إنسان أنّه سوف يتزوّج وينجب أطفالًا ويربّيهم؟ لماذا لا يكون هناك مساحة فيما يرتبط بالجانب الأخلاقيّ بشكل عام، وثقافة الأخلاق الزوجيّة أو ثقافة العلاقة الزوجيّة بشكل خاص؟ وإن كان الزواج بحاجة إلى وعي، فكيف تزوّج آباؤنا والأجيال القديمة دون أن يخضع زواجهم لوعي خاص ولا لثقافة خاصّة؟ كيف تكون ثمار هذا الهدف ملموسة في الدنيا؟

لا شكّ أنّ موضوع الزواج يحتاج إلى وعي وثقافة خاصيّين. فعلى مستوى الدين الإسلاميّ، وفي القرآن الكريم والكثير من الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام ذكر كلام تفصيليّ في العديد من الموارد، فيما يخصّ العناية بالعلاقة الزوجية وثقافتها. ولذلك يجب أن يأخذ هذا الموضوع حيّزاً

مهمًّا في مؤسّساتنا ومدارسنا وجامعاتنا، علمًا أنّنا قد نرى أحيانًا بعض المدارس وتحديداً الإسلاميّة أنّها تخصّص حصصًا لها علاقة بالثقافة الإسلاميّة أو حتّى لها علاقة بالتربية القرآنيّة دون أن يكون لثقافة العلاقة الزوجيّة مكان فيها. وممّا لا شكّ فيه أنّه إذا أُعطي موضوع الزواج اهتمامًا مرّة بعد أخرى، قد تتهيّأ الأرضيّة لكي تتكوّن علاقة زوجية جيّدة وطيّبة.

كما لا يخفى أنّ هناك أشياء تُكتسب بالفطرة وأخرى تُكتسب من التربية البيتيّة وغيرها. فعندما نتطلّع نحو المجتمع، نجد أنّ الكثير من البيوت تربط ما بين أفرادها علاقات جيّدة. وبيوت أُخَر ـ ومن دون مبالغة ـ علاقاتها متزلزلة حيث تضعف فيها العلاقة الزوجيّة، وقد تستمرّ العقد والمشاكل فيها طوال فترة الزواجأن حتيخح إلى حين وفاة أحد الطرفين. وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد عبارة جميلة جدًّا تعبّر عن العلاقة بين الزوجين، نضعها دائمًا على بطاقات الدعوة لحفلات الزواج ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1]. لكن لا أعلم كم يوجد وعي بمضمون هذه الآية ودلالاتها والمنهج الذي ترسمه في بناء ثقافة العلاقة الزوجيّة ومساراتها.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١

العلاقة الزوجيّة والمجتمع

إنّ سلامة العلاقة الزوجيّة تؤسّس لسلامة المجتمع بشكل عام، ولذلك نحن نهتمّ بهذه التفاصيل. فإذا كان البيت سيء، والأولاد سيّئين، بالتالي سيصبح المجتمع سيّئًا أيضًا. ولكن إذا كانت أحوال الأسرة جيّدة، فستكون نفسيّة الأولاد وتربيتهم جيّدة وسليمة، وينجحون في المدرسة، ويصبحون صالحين مع أزواجهم، ويرّبون أولادهم تربية صحيحة.

إنّ الهدف من العلاقة الزوجية أن توصلنا إلى الله سبحانه وتعالى، وتقرّبنا منه. أحياناً، قد نستغرب عندما نقرأ بعض الروايات عن ثواب بعض الأزواج الذين قاموا بأفعال معيّنة والذي يضاهي عبادة سنة أو أفضل منها[1]، وأنّه لا يخدم العيال (النساء والأطفال) إلاّ صدّيق أو شهيد... وأنّ المرأة التي تستقبل زوجها وتودّعه، يقول عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّك عاملة من عمّال الله، ولك في كلّ يوم أجر سبعين شهيداً**»[2] ولكن عندما نعرف أهميّة هذه الأعمال، والآثار الطيبة التي تتركها على الفرد والمجتمع يصبح الأمر واضحًا لنا.

---

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء، إلّا كان خيرًا لها من عبادة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها**».

(٢) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، الصفحة ٢٠١.

الزواج والتقرب من الله

يشكّل موضوع التقرّب من الله تعالى، بحسب اعتقادنا، هدف حياتنا في هذه الدنيا، والعلاقة الزوجية يجب أن لا تخرج عن هذه القاعدة. قد نجد بعض الأشخاص الذين يُقدمون على الزواج أسوة بغيرهم، واعتبارًا منهم أنّ الزواج وانجاب الأولاد هو مما لا بد منه، أي أنّ غريزته تدفعه لهذا الأمر. وأشخاص أُخر يُقدمون على الزواج لأنّ الله يحثّ على هذا الأمر، ولأنّه يدفع عنهم الشيطان، وهو باب من أبواب الجنة. والرواية عن الإمام الباقر عليه السلام تقول: «**أيّما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أيّها شاءت**»[1]. إذن إنّ موضوع الزواج مرتبط بشكل أساسيّ بالجانب الأخرويّ والإيمانيّ، فنجد أنّ العلاقة مع الله تعالى حاضرةٌ في كل الروايات والمفاهيم التي لها علاقة بالحياة الزوجية.

أهميّة الموضوع

تبرز أهميّة هذا الموضوع من جانبين: الأوّل، هو جانب الأجر والثواب. وهذا يعني أنّ هناك فرقًا بين من يخوض العلاقة الزوجيّة كأمر إعتياديّ وغريزيّ، وأنّها عادة سرت في المجتمع

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٦.

ولها نتائج جيّدة في الحياة الدنيا، وبين من يعتبرها بابًا للقرب من الله سبحانه وتعالى، وأنّ هذا العمل له أجر وثواب سواء عند الزوج أو عند الزوجة.

لنضرب مثالًا عن الفارق في النتائج بين الأمرين، في الشركات التجارية على سبيل المثال، وبعد أن يتمّ الموظّف سنته الثالثة أو الرابعة في العمل، نجد أنّ قدرات ومهارات التعامل لديه قد تطوّرت بشكل ملحوظ. بينما إذا قارنّا ذلك مع المؤسسة الزوجيّة، قد نجد العلاقة الزوجيّة ومهاراتها هي نفسها بعد مضي عشر سنوات، بل وأقلّ سعادة وحميميّة بالمقارنة مع ما كان، في السنة الأولى أو الأشهر الأولى من الزواج. هذا الجمود في العلاقة أو التأخر فيها هو من أكثر الأمور التي تُشغل البال، ويلحّ في طرح السؤال التالي، أن لماذا التطوّر لدى العاملين في بعض المؤسسات ذات البعد الماليّ، ولا يحصل الأمر نفسه في بعض المؤسسات الزوجيّة؟ وهو ما يؤكّد أنّ هدف الإنسان من العمل وأهمّية هذا الهدف لديه وقدسيّته، هو الذي ينمّي مهاراته وتعامله ويجعله يتطوّر.

إنّ هدف القرب من الله تعالى يحثّ الزوجَين على تطوير قدراتهما، واكتساب مهارات جديدة، وتحسين أساليب التعامل مع الآخر. لذلك قد تضعف العلاقة الزوجية عند بعض الأخوان والأخوات في أوّل فترة، ولكن بعد مرور الوقت، تصبح العلاقة أفضل. وإذا بحثنا عن السبب، نجد أنّ أهمّ الأسباب التي

تجعلهم يطوّرون مهاراتهم هو الجانب الإيمانيّ لديهم، لأنّ الجانب الإيماني يعطي قوّة غير عاديّة على الصبر والتحمّل، والذي هو الأساس لاصلاح النفس وتطوير المهارات والتغلب على المشاكل وعلاجها، فالصبر هو أساس العلاقة الزوجيّة، ومن دون الصبر لا إمكانيّة للنجاح في تلك العلاقة، ولا إمكانيّة لاستمرارها، على قاعدة «**ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل [ثواب] آسية بنت مزاحم**»[1]. الأمر الذي يؤدّي بالمرأة إلى أن ترتاح في علاقتها الزوجية.

هناك الكثير من الأزواج والزوجات يعترفون بأخطائهم ولكن لا يصحّحون هذه الأخطاء، وذلك لأنّ الأمر مرتبط بالهدف الذي ذكرنا. فلو كان الله تعالى هو الهدف لسارع إلى إصلاح نفسه، أو عندما تتطوّر المشاكل بين الزوجين، ينتظر كلّ طرف تنازل الآخر، فلو كان البُعد الإيمانيّ حاضرًا بقوّة، لسعى كلّ طرف للمبادرة أولًا، فأيّهما سبق كان السابق إلى الجنّة يوم الحساب[2] لأنّ هذا الأمر فيه رضا الله تعالى. ومن النتائج

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٧.

(٢) ورد في الحديث ما يرتبط بالمسلمين فيما لو تهاجرا، لكن يمكن أن ينطبق في أهميّة السبق إلى المصالحة على سبق كل من الزوجين إلى مصالحة الآخر: عن رسول الله ﷺ: «**أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثًا لا يصطلحان إلّا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنّة يوم الحساب**».

الحميدة التي قد تترتب على ما تقدّم تحسن أخلاق وسلوك كل من الزوجين.

وإذا تمّ العمل على هذه الفكرة، فإنّ إنعكاساتها سوف تكون جداً طيّبة على تربية الأولاد والصحّة النفسيّة للأسرة، بل وحتّى على الجانب الصحيّ المدرسيّ لدى الأولاد، فالكثير من الأولاد يعانون من الفشل المدرسيّ وغيره نتيجة العلاقة الزوجية السيّئة بين أهلهم.

خلاصة القول، هذا المفهوم حول الهدف أن يكون هو الله ورضاه هو الأساس في العلاقة الزوجيّة، بحيث ـ لو وجد ـ فإنّه يجعل العلاقات الأسرية طيّبة وناجحة، شرط أنّ يتم العمل عليها بشكل كبير. ولهذا نجد في الروايات المختصّة باختيار الشريك تركيزًا على الدين والخُلق، فبغياب الجانب الدينيّ والأخلاقيّ يصعب تصحيح الأخطاء وتحسين المهارات وتطوير العلاقة الزوجيّة.

أهميّة العلاقة الزوجيّة

بدايةً لا بدّ من الإشارة إلى أنّ ثقافة الحياة الزوجيّة والأسريّة لا تعني المرأة فقط بل والرجل أيضًا، لكنّ الخطاب أكثر ما يوجّه إلى المرأة على اعتبار أنّ هناك جانبًا أساسيًّا من اهتمامات الرجل يقضيه خارج البيت؛ منه تأمين الرزق والنفقة

لأسرته ولزوجته. وذلك يقتضي نوعًا من التوازن على مستوى المهام والمسؤوليّات في الأعمال بين الرجل والمرأة. فيتركّز الخطاب بنسبة أعلى تجاه المرأة، كي تتحمّل ذلك الجهد الموازن لجهد الرجل الذي يصرفه خارج البيت.

ثانيًا عندما تكون المجالس نسائيّة، فالخطاب يجب أن ينسجم مع وظائف النساء وأدوارهنّ، بمعنى أن يتكلّم الشخص عمّا يجب على المرأة أن تقوم به، وليس على الرجل. بالمقابل، عندما تكون الجلسة مع الرجال، يجب أن يتمحور الخطاب حول واجب الرجال لا النساء.

والأهمّ من ذلك، يجب أن يصحّح المجتمع طريقة البيان للمرأة، وأن يُعمل على تصحيح مفهوم حسن التبعّل الذي يذكر في الروايات حتّى على المستوى الدينيّ، بحيث تدرك المرأة أنّ ذلك هو نوع من التكريم لها، وأنّ لها دورًا أساسيًّا ومهمًّا جدًّا فيما يرتبط بالزوج، وعلى مستوى العلاقة الزوجيّة والأسريّة. وهو نوع من التشريف لها. وليس عبثًا حين تذكر أحيانًا مجموعة من الأعمال التي تقوم بها المرأة مع زوجها وفي بيتها على أنّها جهاد، فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[1]. فغاية الجهاد، العمل الذي من شأنه أن يقرّب من

(١) ميزان الحكمة، الجزء ١٣، الصفحة ١١٨٦.

ربّ العالمين، ويوصل إلى رضاه تعالى. بالتالي هذا الاعتقاد القويّ بالله سبحانه وتعالى والإيمان الحقيقيّ به، يوجِد عندنا تقديرًا لذلك الطريق ـ طريق الجهاد ـ بما فيه العلاقة الزوجيّة والنتائج التي تترتّب عليها.

الإسلام كرّم المرأة

الكثير من التعابير السائدة في لغة المجتمع وثقافته فيها الصحيح وفيها الخطأ. ومن المفيد الالتفات إلى أنّ قضيّة المساواة بالطريقة التي يطرحها الغرب فيها الكثير من النقاش على المستوى الإسلاميّ. منها ما هو قائم على أساس الثقافة الغربيّة الوافدة، أو على أساس العصبيّات التي يُراد لها أن تستفحل بين الرجل والمرأة، التي تبغي أن تثبت نفسها بشكل أو بآخر، فتتشبّه بالرجل، وتخوض ميدانه من عمل وغير ذلك. وقد يكون للرجل دور سلبيّ في ذلك، وهذا الأساس غير صحيح. لأنّ الإسلام أجاز لها ذلك العمل لكن بشروط، وبناءً على رؤية اجتماعيّة هادفة ومتوازنة وأصيلة. والأمر الآخر المهمّ أنّ المرأة[1] فهمت هذا التحدّي بالنجاح ومنافسة الرجل بشكلّ خاطئ، فسعت في المجتمع دون ضوابط أو حدود، ومن دون

(١) المقصود بعض النساء.

إدراك لفلسفة هذا الخروج، وهو ما أثار الإشكال، وليس أصل خروجها.

هذه الأشياء وغيرها هي التي يحدث فيها نقاش في الحياة الزوجيّة. ثقافة الحياة الزوجيّة تعني المواقف والسلوكيّات والتصرّفات من قبل الزوجة مع الزوج، والزوج مع الزوجة. هذا الفهم للعلاقة الزوجيّة على المستوى الإسلاميّ مختلف عمّا يوجد لدى الغرب والمجتمعات الأخرى.

النظرة الأخرويّة ورقيّ العلاقة الزوجيّة:

يشكّل الإسلام عنصرًا أساسيًّا له دوره وتأثيره في ثقافة العلاقة الزوجيّة ورسم مسارها. فعندما يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[1]، فهذا يعني ضرورةً أن تحسن المرأة ثقافتها تجاه هذا الموضوع، أأأ كي تصل إلى مقام الجهاد. كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**)[2]، فكي تكون أنت أيّها الرجل من أفضل الناس، وأقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، يجب أن يكون تعاملك مع زوجتك قائمًا على أساس الخير والدين والأخلاق، وأنت

(١) ميزان الحكمة، الجزء ١٣، الصفحة ١١٨٦.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، الجزء ٢٠، الصفحة ١٧١.

لن تستطيع أن تصل إلى هذا التعامل الذي فيه الخير، إذا لم يكن لديك ثقافة صحيحة تقوم على أساس هذا الخير وتستمدّ منه، هذا على المستوى الأخرويّ.

أمّا على المستوى التربويّ، فثقافة العلاقة الزوجيّة الصحيحة تقدّم نموذجًا طيّبًا للأولاد، وهذه المشاهد هي مشاهد محسوسة وملموسة منهم، حيث تترك أثرًا مباشرًا في أنفس الأولاد، فهم يتماهون معها من خلال تعاملهم فيما بينهم، وأيضًا مع الآخرين في صغرهم وعندما يكبرون. ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: **(مودة الآباء قرابة بين الأبناء)**[1]. هذا التعامل القائم على أساس المودّة وثقافة العلاقة الزوجيّة الصحيحة، سوف يجعل الأولاد قريبين من بعضهم، وعكسه هو السبب في البُعد ونشوء عدم الحميميّة بين الأولاد في بعض العائلات. وإذا حصل ذلك، فعلى الآباء أن يقوموا بمراجعة أنفسهم في علاقتهم فيما بينهم. عندما كان كلّ الأولاد يعيشون معهم تحت سقف المنزل، هل علاقتهم مع بعضهم كوالدين كانت تقرّب الأولاد من بعضهم البعض أم لا؟ هذا ما حصل، وتلك هي النتيجة. أحيانًا ينشأ بعض الأولاد على نوع من الحدّيّة بين بعضهم أو مع الناس، فليسأل الوالدان أنفسهم هل كانت علاقتهما الزوجيّة أقرب إلى

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ٧١، الصفحة ٢٦٤.

الحدّة أو القسوة؟ إنّ الوالدين يتحمّلون جزءًا أساسيًّا من المسؤوليّة. وفضلًا عن ذلك الجانب التربويّ، فإنّ هذا الموضوع له علاقة بالجانب الأخرويّ من ناحية أخرى، حيث نجد بعض الأولاد الذين لديهم نوع من العنف، فلنبحث في جوّ الأسرة وكيفيّة تعاطي الأهل مع بعضهما! وهذا ككلّ السلوكيّات الاجتماعيّة التي تترتّب فيما بعد، ونقطفها في تصرّفات الأولاد وأساليب تعاملهم.

لذلك حدّد الفهم الإسلاميّ أنّ المجتمع قائم على أساس وحدة الأسرة وسلامة العلاقات فيما بينها، وأن تكون العلاقة الأسريّة قوامها علاقة الزوجين الطيّبة والصحيحة، حتّى تؤسّس لعلاقات اجتماعيّة صحيحة بمختلف ميادينها ومجالاتها.

كيف نستطيع أن نحدّد مصدر الثقافة ومن أين؟

إنّ مصادرنا الأساسيّة التي نأخذ منها ديننا وثقافتنا هي القرآن الكريم وسنّة رسول الله ﷺ وأحاديث أئمّتنا عليهم السلام. من خلال هذين المصدرين، علينا أن نسعى ونأخذ هذه الثقافة ونعمل على تسييلها في مجتمعنا، ونتجنّب ما هو دخيل من الثقافة الهجينة أو المشوّهة، حيث إنّ هذه الثقافة على المستوى العمليّ اختلطت بثقافة غربيّة وافدة وموروثات غير صحيحة وخاطئة. وأحيانًا يكون العامل الذاتيّ الأنانيّ والهوى هو الذي

يلعب دوره، بمعزل عن الثقافة الغربيّة الوافدة أو غيرها من بعض الأفكار الخاطئة، فيقوم بتشويه بعض التصرّفات، ومحاولة تبرير بعض الأمور الخاطئة على غرار جوّ التحدّي غير الصحّيّ بين الرجال والنساء، وهو له علاقة بالعصبيّة الذكوريّة أو الأنثويّة وهي ليست بالضرورة أن تكون عصبيّة سياسيّة أو عرقيّة وغيرها، بل يمكن أن تكون عصبيّة ذكوريّة تجاه المرأة، أو أحيانًا عصبية أنثويّة تجاه الرجل.

هذا الكلام ليس له أساس في المفهوم الإسلاميّ، فموضوع التنافس والمواجهة ليس قائمًا على أساس امرأة ورجل، بل إنسان شيطان، إنسان أهواء، ونفس أمّارة بالسوء. والدليل على هذا الأمر ما ذكره القران الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1] أي هي ولاية تناصح، وولاية تواصوا بالحقّ، وتواصوا بالصبر. ليس تنافس أو تحدّي أو عصبيّة. إنّ الخطاب الإلهيّ هو للإنسان بما هو إنسان ليرتقي ويتكامل، أمّا أن تتغلّب عليه أهواؤه فيصير عندها أسيرًا لها تودي به، وتؤدّي إلى انتاج سلوكيّات ومفاهيم خاطئة.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

الحقوق والواجبات بين الشريعة والأخلاق

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**رحم الله عبدًا أحسن فيما بينه وبين زوجته**»[1].

ما هي المنظومة التي تحكم العلاقة بين الزوجين؟ هل هي منظومة الإحسان أم نظام الحقوق والواجبات التي تترتّب على كليهما؟

هل أسلوب «من حقّي» و«من واجبك» هو الأسلوب الحاكم في طريقة التعاطي بين الزوجين؟ أم أنّ هناك أسلوبًا آخرًا؟ وهل هذه الأمور تتعلّق بالمرأة وحدها، أو هناك أمور يوجبها الرجل على نفسه؟

تقوم العلاقة الزوجيّة بحسب المفهوم الإسلاميّ على ثلاثة أركان:

١ ـ **الرّكن الأوّل**: الجانب الإعتقاديّ، لكون كثير من المفاهيم التي لها علاقة بهذا الموضوع ترجع إلى الأجر

(١) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، الصفحة ٢١٧.

والثواب والآخرة. وإذا ألغينا هذا الجانب، فإنّ العلاقة الزّوجيّة تفقد أساسها.

٢ ـ **الرّكن الثّاني**: الجانب الفقهيّ التّشريعيّ: الذي يضبط هذه العلاقة ويرسم حدودها ببعض الأحكام.

٣ ـ **الرّكن الثّالث**: الجانب الأخلاقيّ أو القيميّ، وله دور أساسيّ في تلك العلاقة، فما تؤكّد عليه النّصوص هو المودة والرّحمة وإلى ما هنالك.

هناك عمليّة توازن بين هذه الجوانب أعلاه، والكلام هنا عن الجانب التّشريعي والأخلاقي. فالتوازن يعني أنّه لا يجب أن نغلّب أي جانب على الآخر؛ كلٌّ يأخذ مجاله ولا يتعدّى إلى المجال الآخر. وإنّ عدم فهم هذه الأمور وإدراك طبيعة التوازن بين هذين المجالين لا ينعكس فقط على الفهم الخاطئ للدّين، بل ينعكس بممارسات خاطئة تؤدّي إلى الكثير من المشاكل.

ولتوضيح هذه الفكرة، لا بدّ من أن نطرح بعض الأمثلة: قد يقال بأنّه لا يجب على الزوجة أن تقوم بالأعمال المنزليّة، والمسألة مطروحة على المستوى الفقهيّ. ولكن، هل الخطاب التربويّ الذّي يجب أن نُنشئ عليه نساءنا ومجتمعاتنا يرتكز على هذا الجانب فقط، ويغلب على ما عداه؟ هذا كلام خاطئ، لأنّ هناك جانبًا ثانٍ يكمل هذه الصورة وله دور مهم في بيان ما

يجب أن تقوم به المرأة. والخطاب الذّي يجب أن يُوجَّه لها لا بدّ أن يلحظ الجانب القيميّ والتربويّ والتربية الإجتماعيّة تحديدًا. ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئًا من موضع إلى موضع تريد به صلاحًا إلّا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه**»(١).

ورواية أخرى عن السيّدة الزهراء عليها السلام: **عن عليّ عليه السلام أنّه قال لرجل من بني سعد:**

ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة إنّها كانت عندي ـ وكانت من أحبّ أهله إليه ـ وأنّها استقت بالقربة حتّى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتّى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضرر شديد»(٢).

فالسيّدة الزهراء عليها السلام التي هي سيّدة نساء العالمين والتي يجب أن نتعلّم منها، كانت تقوم بكلّ هذه الأعمال وغيرها، ما يوضح أهميّة هذا العمل ومطلوبيّته بالنسبة للمرأة، وهي لم تكن تلتفت لوجوبيّة هذا العمل أم لا.

إنّ قول عبارة «لا يجب» لها نوع من التّحفيز والحثّ على

---

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي، الصفحة ٦١٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ٧٣، الصفحة ١٩٣.

عدم القيام بهذه الأعمال، وهو ممّا يترتّب عليه نتائج عديدة على مستوى العمل المنزليّ.

ومثل آخر يتطرّق له المجتمع اليوم هو الرضاعة، ففي كثير من الأحيان يتداول النّساء أنّ الرضاعة ليست واجبة شرعًا، ممّا يُفهِم بعضهنّ البعض أنّ المرأة يمكن لها أن لا تقوم بهذا العمل، أو تفعله بطريقة تترتّب عليها العديد من النتائج السلبيّة. وخفي عنهنّ بعض الروايات التي توضح بأنّ المرأة **إذا فرغت من رضاعة طفلها ضرب ملكٌ على جنبيها، وقال لها: استأنفي العمل فقد غُفر لك**[1]، فكأنّها ولدت من جديد وأصبحت صفحتها بيضاء. وحديث آخر يقول: «**عندما ترضع الأمّ طفلها كان لها بكلّ جرعةٍ وبكلّ مصّة حسنة، فإن أسهرها ليلة كان لها أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله** ﷻ[2].

إنّ النظر إلى الجانب التشريعيّ فقط لا يوصل إلى هذه النتائج فحسب، بل يظهر الصورة منقوصة ومشوّهة. أمّا إذا توجّهنا إلى الروايات فيكتمل المشهد الوديّ، حيث تبرز أهميّة قيام المرأة بهذا العمل. هذا الموضوع مثله كمثل الشجرة؛

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ١٠١، الصفحة ١٠٧. وأيضًا أنساب الأشراف، الجزء ١، الصفحة ٤٥٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، الجزء ٤٣، الصفحة ٣٤٨.

فروعها بمثابة التشريعات، وأوراقها بمثابة القيم والأخلاق. فالعلاقة الزوجيّة التي روحها في المودّة والرحمة، إذا افتقدت الجانب الأخلاقيّ القيميّ تصبح كالشجرة التي ليس لها ورق ولا ثمر .

كما أنّ هذا الكلام يشمل كلًّا من المرأة والرجل. فإذا كان الخطاب على المستوى التربويّ غير صحيح، فهو يؤدّي إلى نتائج سلبيّة لكليهما، أمّا إذا وازن المرء بين الجانب التشريعيّ والأخلاقيّ على ما هو وارد في الروايات التي مرّت سابقًا، فهو يجعلنا نربّي أنفسنا على العلاقة مع الله ﷻ، وأنّ الأجر والثّواب المنتظر بشكل أساسيّ، بمعزل عن الجانب الدنيويّ، هو من الله سبحانه وتعالى فقط.

أمّا على المستوى الأخرويّ، إذا لم نعتمد على مثل هذه الروايات وقدّمنا خطابًا منقوصًا، يعتمد فقط على الجانب الفقهيّ والقانونيّ، نخسر الكثير من الأجر والثواب. وعلى المستوى الإجتماعيّ، يؤدّي هذا النوع من الكلام إلى كثير من المشاكل وحالات الطلاق، ويعود السبب إلى تربية المرأة على ثقافة عدم وجوب العمل في المنزل مثلًا، وهو ما قد يُفهم منه أنّ الدين يطلب منها عدم القيام بهذه الأعمال المنزليّة. الأمر الذي يؤدّي إلى التقصير في منزلها، واستفزاز الزوج، فيتعامل معها بمنطق قانونيّ مقابل، وتبادله زوجته بالمثل، وبالتالي كيف ستصبح

العلاقة بينهما؟ علاقة جدُّ جافّة، وسوف تخلو من هذه الروح التي تضخّها المودّة والرحمة. ولا يخفى أنّ القيم التي أشرنا إليها سابقًا تنطبق أيضًا على الرجل في حال تعامل معها بنفس الطريقة، فإنّه يدفعها للخطأ.

بعض الجهات تقول بأنّه من حقّ المرأة أن يكون لديها وعي لحقوقها وواجباتها. لا بأس، هذا مطلوب بشرط تقديم الخطاب المتكامل والمتوازن. فبدل أن أقول للمرأة إنّه لا يجب عليك القيام بهذه الأعمال، ليس واجبًا عليك العمل في المنزل، فتعود إلى منزلها ولا تقوم بأيّ عمل. يجب أن نلفت انتباهها إلى أجر وثواب هذا العمل، وآثاره على المستوى التربويّ والإجتماعيّ وأيضًا الأخرويّ. وبالتالي أكون قد أعطيتها الصورة بشكل متكامل.

وللفهم الخاطئ عوامل عدّة هي:

١ ـ التأثير الغربيّ الذي له علاقة بحقوق المرأة: فيتمّ المغالاة ببعض الأمور التي نقدّمها بطريقة غير متوازنة، وتتحوّل بعدها إلى خطاب تربويّ اجتماعيّ يؤدّي إلى هذه النتائج الخاطئة.

٢ ـ عدم فهم الدين بطريقة صحيحة متكاملة ومتوازنة. ونعني به النظر إلى الجانب القانونيّ والتشريعيّ فقط بمعزل عن الجانب الأخلاقيّ. لذلك نلاحظ في القرآن الكريم أنّ

الآية الواحدة لها جانب فقهيّ كلامي، وأيضاً لها ذلك الجانب القيميّ والأخلاقيّ، وهو يقدّم لنا منهجًا للدين وفهمًا شاملًا متوازنًا.

بعد هذا العرض، يطرح السؤال التالي: ما هي آثار ومنافع قيام المرأة بالعمل مع علمها بعدم وجوبه؟

إنّ القانون يتميّز بجفافه، فالإنسان يفعل فعلًا ما لأنّه وجب عليه ذلك، وكأنّ الله سبحانه وتعالى ممسك بعنقه، وإذا لم يفعل هذا الواجب مصيره جهنّم. بينما في العلاقة الزوجيّة، الأمر يختلف، لأنّه يجب أن يترك فيها مساحة واسعة جدًّا للمبادرة الذاتيّة غير الملزمة بشكلٍ مباشر، ليحصل العمل بدافع المودّة والرحمة، فهو يترك أثرًا طيّبًا أكثر من العمل القائم بدافع الإلزام.

مثال على ذلك، من الواجب على الزوج الإنفاق على زوجته وبيته وعياله لما يتركه من أثر مهمّ، ولكن إذا أسمع الزوج زوجته كلامًا جميلًا فإنّ أثره سيكون أكبر وأعظم من كلّ الواجبات التي هو مكلّف بها على المستوى التشريعيّ، وهناك مثل شعبيّ يعبّر عن هذه الحالة بقوله «لاقيني ولا طعميني». وأيضًا في مجال النفقة الواجبة، يمكن للرجل أن يصرف أموالًا طائلة وباهظة في هذا المجال، ولكن إذا قدّم لزوجته هديّة حتّى لو كانت بمبلغ زهيد من المال، فسوف تترك أثرًا في قلبها

ونفسيّتها أكثر بكثير من كلّ هذه النفقة الواجبة، لأنّها تعبّر عن الجانب الأخلاقيّ والقيميّ والمودّة والرّحمة.

إنّ الإنسان يستهين أحيانًا ببعض الأمور غير الواجبة على الرغم من أنّها تترك أثرًا أكبرًا في النفوس، لذلك نقول إنّه حتّى من الممكن أن يكون حجم الأجر والثواب للأمور غير الواجبة أعظم.

إنّ ما يريده الله ﷻ من هذا الأمر، وما أكّدته روايات أهل البيت عليهم السّلام، أنّ المطلوب من المرأة القيام بهذه الأعمال ليس على مستوى الإلزام التشريعيّ القانونيّ فقط، ولكنّ المطلوب هو الأجر والثواب على المستوى الأخرويّ، إضافة إلى الفوائد والمنافع التي تعود على المستوى التربويّ والإجتماعيّ وغيره. وإذا فعلت ذلك العمل ليس من باب الإلزام سوف تترك أثرًا طيّبًا في نفس الطرف الآخر أكثر من أن تقوم به من باب الإلزام، وهذا ما يجعل العلاقة الزوجيّة أكثر جماليّة، مليئة بالدفء والحرارة، وتخلو من الرتابة والملل، ومن الكثير من الأمراض التي تصيب العلاقات الزوجيّة.

وفي نهاية الحديث، نلفت إلى أنّ العلاقة بين الزوجين إن لم تكن نابعة من الإحساس بالآخر على أنّه جزءٌ من نفسه، وبقي الحديث بينهما على أساس «من حقّي» ومن «واجبك»؛ فإنّها لن ترتقي إلى مستوى السُكنى التي أرادها الله تعالى في الزواج.

المودّة في العلاقة الزوجيّة

يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1].

ما هي أسرار المودّة والرحمة بين الزوجين وما هو المقصود بها؟

مفهوم المودّة

يستخدم القرآن الكريم تعبير المودّة في الآيات الكريمة في موارد عديدة، منها: في مورد النهي في قوله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[2]، ومنها في مورد مودّة ذي القربى ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[3]. وفيما يتعلّق بالعلاقة الزوجيّة يقول جلّ وعلا ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[4].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سوؤة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الروم، الآية: ٢١.

المراد بالمودّة هو التعبير عن الاهتمام والتقدير والعاطفة، فنقول فلان من الناس لديه عاطفة أو حنان، فلان يظهر مشاعر الودّ، يحترم الآخر في كلامه وأفعاله، يظهر له التقدير والاحترام والعاطفة والحنان. كلّ ذلك ممّا يؤدّي إلى الشعور بتقدير الذات، والشعور بعاطفة الآخر، حيث يؤدّي إلى الإشباع العاطفيّ لدى الطرف المقابل، نتيجة هذا السلوك والتعاطي.

ما هو سبب خمود الحبّ بعد الزواج؟ ومن أين تأتي المودّة بين الزوجين؟

لا بدّ من التوضيح أنّ هناك فرقًا بين المودّة والمحبة، والذي يبدأ في العلاقة الزوجيّة أثناء الخطبة هو نوع من أنواع المودّة، لأنّ المودّة لها عدّة أوجه. عندما يبادر البعض إلى إظهار التقدير والاحترام والعاطفة والحنان تجاه الآخر، فذلك له أسباب: قد تكون آنيّة تنطفأ بعد الزواج وتنتهي. وتارة أخرى، لا تكون هذه الأسباب آنيّة أو ظرفيّة، بل يكون لها علاقة بالوعي والثقافة والمهارات المكتسبة. المودّة بالشكل الطبيعيّ تؤدّي إلى المحبّة، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**بالتودّد تكون المحبّة**»[1]. وبالتالي يجب أن تستمرّ بعد الزواج. لكن إذا كانت أسباب هذه المودّة آنيّة، فإنّها ستزول مباشرة بعد زوال السبب.

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ٤٩٦.

نحن قلنا إنّ المودّة هي تعبير عن العاطفة، وهذا التعبير يتضمّن الاهتمام والتقدير والإحترام، بغض النظر عن أيّ شعور آخر، من مثل الحبّ من أوّل نظرة ـ هو ليس حبّ من أول نظرة بل قد يكون تعبيرًا عن إعجاب ما ـ وبناءً على التعريف السابق، يمكن لأيّ شعورٍ يترك أثرًا طيّبًا في القلب أن يؤدّي إلى المودّة، وبالتالي إلى المحبّة.

ورد في رواية عن الإمام عليّ عليه السلام: «**البشاشة حبالة المودّة**»[1]؛ الوجه البشوش يؤدّي إلى صناعة المودّة، وإلى إشاعة أجواء المحبّة بين الزوجين. وكمثال على ذلك، عندما يدخل الزوج إلى البيت ويكون وجهه بشوشًا، يتكلّم كلامًا جميلًا، وكذلك الزوجة، هذا الشيء يؤدّي إلى الحبّ والارتياح في الحياة الزوجيّة. أمّا فيما لو حصل العكس كلّ ينظر إلى الآخر بوجه عبوس (عبوسًا قمطريرا)، فقد يصل الأمر شيئًا فشيئًا إلى انقباض القلب وإلى نوع من الفتور في العلاقة الزوجيّة. إنّ البسمة تبعث على الارتياح وتصنع المودّة بين الناس.

ثانيًا الهديّة؛ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تهادوا تحابّوا**»[2].

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ١، الصفحة ٢٦٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، الجزء ٥، الصفحة ١٤٤.

الهديّة وخاصّة في بعض الأوقات، وفي بعض المناسبات التي لها دلالاتها؛ تبعث على المودّة، وتعبّر عن نوع من الاحترام من قبل الرجل تجاه زوجته، أو نوع من الاحترام والعاطفة من قبل المرأة تجاه زوجها.

ثالثًا الكلمة الطيّبة؛ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1] وفي الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «**الكلمة الطيّبة صدقة**»[2] باعتبار أنّ الكلمة الطيّبة تؤدّي إلى إثارة الأجواء الطيّبة والمشاعر الجميلة بين الطرفين. وعن رسول الله ﷺ: «**قول الرجل للمرأة: أنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبدًا**»[3]. لقد استعمل الرسول ﷺ كلمة «أحبّك» باعتبارها مثالًا واضحًا وبارزًا للكلمة التي تترك أثرًا طيّبًا في نفس الزوجة. وهناك أمثلة واضحة في المجتمع عن هذا الموضوع، فالكلمة الحلوة والجميلة تساعد على تغيير الكثير من الطباع أو الأخلاق السيّئة في الإنسان رجلًا كان أو امرأة، خاصّة إذا كانت تحمل في طيّاتها المودّة، وهي تزيد الحبّ بين الزوجين يومًا بعد يوم.

ومن آثار المودّة أيضًا، أنّها تحمل الآخر على العفو عن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١٥٩٧.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، الجزء ٥، الصفحة ٥٦٩.

الخطأ، والأخلاق الطيّبة. كما أنّ الورع والتقوى ومخافة الله سبحانه وتعالى تهيّئ الجوّ للمودّة. وإذا أخذنا بمجمل هذه الأسباب، فإنّها تؤدّي إلى إنتاج المحبّة بين الزوجين.

ما يحصل في الحياة العامّة أنّ مجمل كلّ تلك المشاعر تتأجّج في بداية الحياة الزوجيّة، لكن بعد مرور فترة، يستحيل نوعًا من الملل والروتين والرتابة. فهل يحتاج الرجل إلى تذكير زوجته بأنّه يحبّها مع علمها بمحبّته، والرجل قد يكون لديه بعض الغرور والكبرياء؟ هل عليه أن يعبّر لها دائمًا عن ذلك حتّى في حالة وجود أطفال، وقد يكونون كبارًا، إضافةً إلى عامل الخجل؟

في مثل هذه الحالات يأتي موضوع المودّة، فثقافة المودّة تبدأ بالوعي، وتنتهي سلوكًا وممارسة ومهارات عند الزوجين. وقد تجد أحيانًا أناسًا ليسوا متعلّمين، ولكن جوّ الأسرة والبيئة الاجتماعيّة التي عاشوا فيها جعلت لديهم مهارات المودّة، وهي تحسن التعامل مع الزوج وهو يحسن التعامل معها، كلّ ذلك من دون تعلّم، حيث تنشئ هذه التصرّفات جوًّا جميلًا ومؤنسًا ونوعًا من السكن فيما بينهما.

أمّا الموانع فهي عدم الوعي والاستهتار بهذا الكلام، وفي بعض الأماكن عدم وجود الثقافة الصحيحة بل وجود الثقافة المشوّهة والخاطئة. ثالثًا وجود نوع من الأمراض النفسيّة عند

الزوج أو عند الزوجة من قبيل الغرور أو الاعتداد المرضيّ بالنفس، مثلًا قد لا يجرؤ الزوج على التعبير عن مشاعره لأنّ هذا بنظر البعض منافٍ للرجولة، وقد يوصف بالتعبير الشعبيّ «خيخا» إذا أظهر العاطفة والحنان والاحترام والتقدير لزوجته. وربّما يكون عند الزوجة نوع من العجب بنفسها والغرور، يمنعانها من التعبير. وإذا دقّقنا جيّدًا في مجتمعنا، نجد أنّ الناس تنشدّ للتعبيرات الزوجيّة المعبّرة عن المودّة التي تُقال في بعض المسلسلات والأفلام، وهذا دليل على أنّها حاجة فطريّة وملحّة عند الإنسان، وقد يعبّر ببعض الجمل التي مرّت في المسلسل ولو على سبيل المزاح. هذا يؤكّد الحاجة إلى مثل تلك المودّة وأهميّة التعبير عنها.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا رسول الله إنّ لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيّعتني، وإذا رأتني مهمومًا قالت لي: ما يهمّك. إن كنت تهتمّ لرزقك فقد تكفّل لك به غيرك، وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همًّا. فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ لله عمّالًا، وهذه من عماله لها نصف أجر الشهيد**»[1].

الاستقبال تعبير عن أهميّة حضور زوجها إليها، والتشييع

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، الجزء ٢٠، الصفحة ٣٢.

تعبير عن تلك المودّة والحبّ، تظهره من خلال القول والسلوك والاهتمام، فيبدو الاحترام بقولها وفعلها. ومَن أرادت أن تصنع حياةً سعيدة بينها وبين زوجها، عليها أن تتقن فنون المودّة، وتمتلك عاداتها ومهاراتها، وإلّا سوف تتحوّل العلاقة الزوجيّة إلى حياة فاترة، يخبو توهّجها يومًا بعد يوم.

هل يستطيع أن يظهر الإنسان تلك المودّة دون أن تكون موجودة لديه؟

قد يعتبر البعض في هذا الأمر نوعًا من النفاق؛ ولكن المطلوب هو العمل بطريقة تؤدّي إلى صناعة المحبّة والمودّة. يوجد مهارات وسلوكيّات وأعمال تؤدّي إلى هذا الأمر. مثال على ذلك أتى شاب من القرية يريد أن يقدّم طلب عمل في شركة ما، وبعض السكرتيرات لديهم مهارة غير عاديّة بإظهار الاحترام والإهتمام. فدخل وقال لها أريد ان أقدّم طلبًا، استقبلته بكلّ بشاشة وبسمة حلوة، وبتعامل ايجابيّ، وهو غير معتاد على هذا الشيء. وعندما رجع إلى القرية، قال لوالده أريدك أن تخطب لي فلانة. قال له: لماذا؟ قال: لأنّها تحبّني، وقصّ عليه ما حصل. وعندما أتى الوالد ليراها، تعاملت معه بذات الطريقة. فرجع إلى ولده، وقال له: هي تحبّني أيضًا.

خلاصة القول إنّ هذا التعامل حتّى لو لم يكن يعبّر عن

شيء موجود في القلب، ولكنّه سوف يترك أثرًا طيّبًا شيئًا فشيئًا، ويؤدّي إلى ملء هذه القلوب والحياة الزوجيّة بهذه الحياة الطيّبة.

الحبّ في العلاقة الزوجيّة

س: كيف يمكن للحبّ أن يستمرّ وهجه في الحياة الزوجيّة، وهل يزداد بعد الزواج أو أنّ الزواج هو مقبرة الحبّ؟

قبل الشروع في الإجابة على السؤال، لا بدّ من ذكر بعض المقدّمات اللازمة:

أوّلًا: إنّ الحبّ هو فعل الله تعالى أيضًا ولا يتعلّق فقط بفعل العبد. يقول تعالى في القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] وفي المقابل بالنسبة للإنسان ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2]. بالتالي هذا الحبّ هو فعل الله تعالى كما هو فعل العبد.

ثانيًا: يتعلق الحبّ بالشيء الممدوح كما يتعلّق بالشيء المذموم، يتحدّث الله تعالى في القرآن الكريم ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ

(١) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

ٱلۡعَاجِلَةَ﴾[1] عن أولئك الذين يحبّون الدنيا، وذلك في معرض الذم.

ثالثًا: يختلف الحبّ باعتبار منشئه. وهذه النقطة مهمّة جدًّا؛ فقد يكون منشؤه حبّ الكمال، حبّ الله سبحانه وتعالى، حبّ الخير؛ أو قد يكون حبّ ثانٍ ليس له علاقة بالتكامل، بل بالتسافل أحيانًا. يتحدّث القرآن الكريم مرّة عن حبّ الله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[2] ومرّة ثانية عن حبّ منشؤه الشهوات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[3] وهو مدعاة للتسافل.

رابعًا: الحبّ الذي منشؤه الميل إلى الخير والتكامل مترسّخ في فطرة الانسان. هذا الحبّ يؤدّي إلى نتائج إيجابيّة كبيرة وخاصّة فيما يرتبط بالعلاقة الزوجيّة. لذلك نحن نحتاج إلى أن نفرّق بين حبّ وآخر بأمرين أساسيّين فيما يرتبط بمنشأ الحبّ، وفيما يرتبط بمتعلّق الحبّ. لذلك نجد الاختلاف في العلاقات الزوجية؛ بعض الأناس يرتبطون في البداية عن غير حبّ، ثمّ يتوقّد الحبّ بعد الزواج، والبعض الآخر عكس ذلك. هذا له علاقة بمنشأ الحبّ وبمتعلّقه.

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

س: هذا المنشأ مدخل لتفسير هذا التفاوت؟ لماذا يخفت وهج الحبّ ولماذا يزداد أحيانًا؟

إنّ الإنسان لديه استعداد أن يحبّ أيّ شيء إذا وجد فيه شيئًا من صفات الكمال، مثل الكرم، التواضع، حسن الخلق، العشرة الطيّبة، الأسلوب السلس بالكلام، والتي هي صفات ممدوحة تجعل الإنسان الآخر بشكل عام، شاء أم أبى، يحبّ الشخص الذي تتوفّر فيه هذه الصفات.

كما لا بدّ من التوضيح أنّ كلّ هذه الصفات موجودة في النفس، وهي تظهر من خلال الفعل حيث يترجمها السلوك والقول.

وبناءً على ما مرّ، إذا اكتشف أيّ طرف أن الآخر لديه هذه الصفات، التي موطنها النفس ويترجمها الفعل؛ شيئًا فشيئًا يبدأ بالتعلّق به، ويحبّه. وهذا ما يفسّر لماذا في بعض الزيجات يعلو الحبّ وفي بعضها الآخر يخبو، وفي غيرها قد يحافظ على مستواه. وإذا بحثنا عن سبب ذلك فهو هذه العشرة، التي ربما لم تكن متوفّرة قبل الزواج، أو أنّ مساحتها لم تكن كافية ليتعرّف كلّ طرف على ما لدى الآخر من صفات الكمال، صفات الخير، وحُسن الخُلق، والأخلاق الطيّبة. وبعد ذلك عندما يسكنون في منزل واحد، وتتاح لهم مساحة من العشرة، سوف يتعرّف كلٌّ منهما على الكثير من الصفات التي كان يجهلها،

وهي صفات ممدوحة وحسنة. وعندما يبدأ باكتشاف هذا الشيء الموجود عند الآخر، وبما أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بطبعه يميل إلى هذه الصفات الممدوحة والطيّبة؛ فإنّه سوف يبدأ بالتعلّق بتلك الصفات وبالشخص الذي يحملها.

فعندما يتعلّق بالشخص الآخر، ليس لأنه وجده آخرًا، بل لأنّه وجد هذه الصفات الطيّبة فيه. في المقابل، وفي حالات ثانية، هذا الحبّ يخفت ـ هذا إذا صحّت تسميته كذلك ـ لأنه في بعض الحالات، قد لا يتعدّى كونه درجة من الإعجاب بالشكل الظاهريّ فقط، والذي سريعًا ما يخفت، والسبب في ذلك أنّه تعلّق بأمور ظاهريّة. بينما الحبّ ليس له علاقة بالشيء الظاهريّ والماديّ فحسب. هذا الشخص شاهد شكلًا معيّنًا، مال إليه وتعلّق به، وافترض أنّه أحبّه. وخفي عليه أنّ الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان، فطره ليتعلّق بالصفات التي تترك أعظم أثر، والتي هي مودعة في النفس، وهي الدين والأخلاق، والتي يترجمها الفعل.

ولا يصحّ الفصل بين ما هو موجود في النفس، وبين الذي يترجمه البدن من خلال الصفات التي تظهر بالفعل. والذي يحصل عند هؤلاء أنّه تعلّق بهذه الصفات الظاهريّة، وبعد ذلك ساهمت العشرة الزوجية في اكتشاف العديد من الأمور الموجودة عندهم، والتي لها علاقة بصفات النفس، ولها دور أساسيّ في

التعامل، فلا التواضع موجود، ولا حسن العشرة أو المودة والرحمة. كلّ هذه الأمور ليست موجودة، أو موجودة بشكل منقوص. وهذا الأمر إلى ماذا سيؤدي، يؤدي إلى أن يخفت هذا الحبّ، لماذا؟ لأنّ هذه الصورة الماديّة سيصبح أثرها عاديًّا بعد مرور بعض الوقت، ويكتشف أنّ الدور الأساس ليس لها، فهي من قبيل الجمال الظاهريّ.

فلو أنّ إنسانًا أتى بلوحة فنيّة رائعة الجمال، وعلّقها على الحائط. في اليوم الأوّل، كلّما دخل الغرفة لا ينظر إلى شيء سواها. في اليوم الثاني، عندما يدخل إلى الغرفة ينظر في اللوحة، وإلى أشياء أخرى. أمّا في اليوم الثالث والرابع والأيام التي تلي، فقد يدخل إلى الغرفة ولا يلتفت إلى اللوحة أصلًا، لأنّ هذه الصورة الظاهريّة تفقد قيمتها يومًا بعد يوم. بينما الصفات المودعة في النفس، والتي لها علاقة بالدين وحسن الخلق وما يتفرّع عنهما، فإنّها تبقى متجذّرة ويبقى أثرها، لأنّ هذه الصفات حيويّة وليست ماديّة، وليست صورة توضع على الحائط وتفقد قيمتها يومًا بعد يوم. هي التي لها علاقة بالعشرة، وتترك أثرًا كبيرًا جدًّا كلّ يوم في مختلف الأمور والتفاصيل، وهي التي تؤدّي إلى أن ينمو هذا الحبّ ولا يخفت.

س: كيف نغذّي هذا الحبّ بشكل عمليّ كي ينمو بعد مضيّ عدد من السنين؟

بناءً على هذا التأسيس، يصبح الجواب واضحًا، وهو يفسّر العديد من الحالات الاجتماعيّة التي تحصل في مجتمعنا، وهذا يطلّ على موضوعين لا يقلّان أهميّة عن بعض؛ لماذا هذان الشخصان قبل الزواج كانوا كليلى ومجنونها، لكن عندما تزوّجوا ودخلوا إلى منزل واحد، وصلوا إلى الطلاق بعد مشاكل وعراك. وفي المقابل هناك أناس لم يرتبطوا عن حبّ، ولكن شجرة المحبّة بدأت تنمو وتترعرع بعد ارتباطهم وزواجهم.

فقبل الزواج، يجب أن يفكّر الشخص بثلاث أرباع عقل وربع عاطفة. وبعد الزواج ثلاث أرباع عاطفة وربع عقل، بمعنى أنّه قبل الزواج عليه أن يفتّش عن الصفات الموجودة عند الطرف الآخر، وعلى أساسها عليه أن يختار، حتّى لو كان قلبه أو عاطفته تشدّه إلى مكان آخر، وهذه نصيحة لكلّ الشباب والفتيات، وخاصّة الفتيات. وبعد الزواج عندما ينتهي وقت الاختيار، عليه أن يترك مجالًا للعاطفة والصفح والتسامح والرحمة، ولا يضع الحدّ على الزعرورة؛ بمعنى أن لا يعمل بمنطق: واحد زائد واحد يساوي اثنان. وليس بمعنى أن يستغني عن العقل وأن يقيله من دوره.

إنّ هذا التأسيس يفيدنا في موضوع الاختيار، وبعد ذلك إذا أردنا أن تنمو شجرة الحبّ، فيجب أن نبحث عن الأشياء التي تنمّي هذه الشجرة، وأن نعمل على ريّها بماء المودّة والرحمة وحسن العشرة. ففي حديث عن الإمام عليّ عليه السلام **(بالتودّد تكون المحبّة)**[1]. هذه المودّة هي التعبير للآخر عن الاهتمام به وتقديره واحترامه، عن العاطفة تجاهه، وعن تبيان مشاعر المحبّة له.

هذه الممارسة تدفع: أوّلًا إلى ايجاد المحبّة بين الطرفين، وثانيًا المنع من هدمها.

أيضًا عن الإمام الصادق عليه السلام **(ثلاثة تورث المحبّة: الدين، التواضع، والبذل)**[2]. الدين هو المخافة من الله سبحانه وتعالى، والتي تلجم كلّ طرف من الطرفين عن أن يخطئ بحقّ الآخر أو يؤذيه، وإذا كان كذلك فهو لا ينفرّه، ويحافظ على شجرة المحبّة مورقة بينهما، فلا يكفي أن نسقيها من جهة، ونضع لها موادًا كيماويّة تحرقها وتذبلها من جهة أخرى.

أمّا بالنسبة إلى التواضع؛ فهو يساعد على أن يتعاطى كلّ طرف مع الآخر بعشرة طيّبة، تؤدّي إلى إنماء هذه الشجرة. أيضًا

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ١، الصفحة ٤٩٦.
(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ١، الصفحة ٤٩٦.

بالنسبة إلى البذل؛ فعندما يكون كريمًا مع الطرف الآخر، فإنّه يشعره من خلال ذلك بالمحبّة، والرواية في هذا المورد معروفة، يذكرها الكثيرون (**الهدية تورث المحبّة**)[1] لأنّها تعبير عن التقدير والاحترام والعطف بالنسبة للآخر.

ومن العوامل التي تورث المحبّة بين الزوجين ما ذكره الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: (**البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة المحبّة**)[2].

وقد يحصل أن تغيّب هذه الأمور بعد الزواج بسبب الحياة الروتينيّة، فإذا دخل رجل إلى منزله ووجد زوجته عبوسًا قمطريرًا، أو العكس، مرّة تلو الأخرى فقد يؤدّي ذلك إلى وأد هذه المحبّة وإخماد جذوة هذا الحبّ الموجود بين الطرفين، لكن بالوجه البشوش والبسمة يحافظ الزوجان على المودّة.

والذي سيبادر لإزالة الموانع عن الحبّ بينهما له الفضل الأكبر، ولا يصحّ السؤال هنا وإن كان مطروحًا، ودلالته ليست صحيّة، بأنّه من يجب أن يبادر أوّلًا؟ فإذا انتظر كلٌّ منهما الآخر ليبادر فلن تحصل محبّة، والفضل في هذا المورد للبادئ. يُذكر رواية بهذا المورد أنّه (**فأيّهما سبق إلى كلام أخيه، كان السابق**

(١) أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، الجزء ١، الصفحة ٣٠٣.

(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ١، الصفحة ٤٩٦.

إلى الجنّة يوم الحساب)[1]. عندما تبادر لك ميزة وفضيلة عند الله سبحانه وتعالى. وقد تضمّنت الرواية معنى التواضع، لأنّ كلّ شخص إذا أراد أن يقول إنّها صعبة بالنسبة إليّ أن أبادر، فمعنى هذا أنّه لن تستقيم العلاقة بين الطرفين.

إنّ التواضع يورث المحبّة، وكلّ عنوان من هذه العناوين يمكن للإنسان أن يبني عليه، وهو يساهم في وأد المشاكل في بدايتها، فتلقائيًا مجرّد تبيان أنّ هناك مشكلة، ولا يوجد مانع نفسيّ من تكبّر أو عجب أو أيّ مانع آخر، كي يبادر الشخص تجاه الآخر، فإنّ تلك المشكلة سوف تزول وتعالج. ولا يعني ذلك بالضرورة أن تبادر الزوجة دائمًا، أو أنّ الرجل يخطئ حين يفعل. ربّما تشير الروايات أكثر إلى مبادرة المرأة، وهذا لا يعني انتصارًا للرجل، إنّما انسجامًا مع ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام، مبادرة المرأة تجاه الرجل في هذا المورد لها قيمة أعظم، وقد يكون أثرها أكبر. لذلك التواضع في هذا المورد، كما طلاقة الوجه وحسن البِشر، كلّ ذلك له دور أساسيّ في تفتّح أزهار المحبّة على شجرة التواضع وحسن البِشر.

وقد نرى في بعض الحالات أنّ العديد من الناس لا يملكون الأموال، وليس لديهم أشياء كثيرة يبذلونها ولنفترض أنّه

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٤، الصفحة ٣٤٣٨.

غير قادر على ذلك البذل، ولكن لديه هذا الوجه البشوش، البسمة الحلوة، واللسان الطيّب، وذلك يترك أثرًا كبيرًا، لأنّه مرة تلو الأخرى، و أثر على أثر، فسوف يؤدّي إلى نتيجة جميلة جدًّا بعد ردح من الزمن، وهذا المعيار له العديد من المصاديق، وبعض الروايات تركّز على حسن الخلق بمختلف مجالاته، وبعضها الآخر يركّز على الدين، والذي يكشف كلّ هذه الأمور هو العشرة.

جهاد المرأة

«**جهاد المراة حُسن التبعُّل**»[1]. هكذا رسم رسول الإنسانية محمّد ﷺ معالم الحركة الجهادية للمرأة حيث لا أسلحة ولا جنود ولا صفوف، فما هي الآليّات المستخدمة في هذا الجهاد وما المقصود بهذا الحديث؟ وهل للمرأة قابلية للوصول لمقام المجاهدين والشهداء؟ لماذا نسمع عادةً تبخيساً لعمل المرأة في البيت وكأنّها تبحث عن شيء يُثبت ذاتها أكثر، وهذه ثقافة رائجة بين بعض النساء؟ إذا كان عمل المرأة في المنزل أو حُسن إدارتها لحياتها الزوجية له كل هذا الأجر والثّواب والمقام عند الله سبحانه وتعالى، هل يعني ذلك أن يطلب الرجل ويُكثر الطلبات تحت عنوان حُسن التبعّل؟

إنّ الذي يراجع الروايات يرى أنّها لا تهتمّ بهذا الإتجاه فقط، أي دراسة الأصعب أو الأقل صعوبة بالمقارنة ما بين الجهاد العسكري وجهاد المرأة. بل يذهب بالإتّجاه الذي يوضح

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ١٠٠، الصفحة ٢٤٥.

الفرق بين دور كلّ من المقاتلين في سبيل الله والمرأة، ولكن من حيث الأجر والثواب والكرامة عند الله سبحانه وتعالى، فهما بالطبع متساويان بغض النظر عن طبيعة دور كلٍ منهما، لذلك يجب توضيح معنى الجهاد.

إنّ الجهاد يتطلّب بذل الإنسان جهداً خاصًّا أو مشقّة خاصّة، وهو ما يوصل ـ إن كان في سبيل الله ـ إلى مقولة الجهاد في سبيل الله، وهذا ما يتّسع ليشمل الجهاد في سبيل الله في مختلف المجالات، بما فيه الحياة الزوجية والأسرية بالإضافة إلى مختلف مجالات الحياة الأخرى، حتى على المستوى العلمي والمعرفي. فمن هنا نستطيع القول إنّه كما للرجل جهاد، للمرأة أيضًا جهاد.

الأمر الثاني هو أنّ هناك نوعًا من العلاقة التكاملية بين جهاد الرجل وجهاد المرأة. فالرجل يقصد الأماكن المختلفة بغية القيام بأدوار تنعكس إيجاباً على كل فئات المجتمع بما فيها النّساء، وبالمقابل تقوم المرأة بأدوار في مجالات أخرى تنعكس إيجابًا أيضًاا على كل المجتمع بما فيه الرجال. إذًا هذه العلاقة هي علاقة تكاملية بين الطرفَين. فالفرق بينهما ليس له علاقة بالرتبة عند الله سبحانه وتعالى، لأنّ الأفضليّة عند الله تعالى ترتبط بأمور أخرى كالتقوى. ولكن من حيث طبيعة الدور ميدانيًا وإجتماعيًا وعمليًا، هناك اختلاف ببعض الأمور والتفاصيل،

وحديث الرسول ﷺ عندما جاءت إليه إحدى النّساء وكانت موفدة إليه من النّساء آنذاك، وإسمها «أسماء بنت يزيد الأنصاريّة» وقالت للنّبي ﷺ: «... **وَإِنَّكُمْ مَعْشَرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ، وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا خْرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا، حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا أَثْوَابَكُمْ، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الأَجْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟** فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أهل سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ فِي مَسْاءلَتِهَا عَنْ أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟**». قَالُوا: «**يا رسول الله، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا**»، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا فَقَالَ: «**انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبِهَا مَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعِهَا مُوَافَقَتَهُ، يعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ**»[1].

وبالتالي إنّ كل هذه الأمور التي يقوم بها الرجل من جهاد وغيره من حيث الأجر والثّواب والقرب من الله سبحانه وتعالى، يساوي طاعة الزوجة لزوجها واتباعها موافقته، ليصلا إلى تلك النتيجة الأخروية، التي تؤكّد عدم وجود فرق أو أفضلية بينهما

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٤، الصفحة ٢٨٦٩.

من حيث طبيعة الدور في الدنيا بلحاظ انعكاسه أخرويًّا في الأجر والثواب عند الله تعالى.

قابلية وصول المرأة لمقام المجاهدين

بحسب الرّوايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام، إنّ وصول المرأة إلى مقام الشهداء والمجاهدين هو أمر ممكن وليس بالمستحيل. فبعض الناس يلتفتون إلى الأجر الذي يترتّب على عمل المجاهد في سبيل الله، ولا يلتفتون إلى الأجر الذي يترتّب على جهاد المراة مع زوجها، وعلى عملها في منزلها، وما يترتّب أيضاً من الثواب جرّاء تربيتها لأولادها وصبرها على ذلك. إنّ عدم الإلتفات إلى هذه المعاني نتيجتها جعل بعض الناس ينظر نظرة تخلو من التوازن فيما يرتبط بجهاد الرجل وجهاد المرأة.

وكما أنّ الروايات أكّدت على حُسن التبعّل وإتّباع المرضاة والموافقة، توجد روايات أخرى تتكلم في مجال آخر من جهاد المرأة وتقول: «**مِهْنَةُ إِحْدَاكُنَّ فِي بَيْتِهَا تُدْرِكُ بِهِ عَمَلَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[1]. وفعلاً عمل المرأة في منزلها فيه الكثير من المشقّة والتّعب ويحتاج إلى الكثير من الصبر، لذلك

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، الجزء ٤، الصفحة ٣٠٤

كان جهادًا وعندما تسعى المرأة لتربية أولادها ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1] وإن كانت مسؤولية التربية مطلوبة من الإثنين. فإنّ هذا الأمر أيضاً فيه جهاد. هولاء المجاهدين لهم أجرهم، وأنت أيتها المرأة لكِ الأجر نفسه عندما تعملين في بيتكِ وتربين أولادك.

إنّ المعيار عند العديد من الناس له علاقة بالجانب الإجتماعيّ، والاعتبارات المصطنعة ولكن إذا رجعنا إلى الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام نرى أنّها تذهب إلى معيار آخر تماماً. هذا المعيار هو رتبة هذا العمل عند الله سبحانه وتعالى ونتيجته يوم القيامة، لذلك ليس هناك من فرق في هذا الموضوع بين المرأة والمجاهدين.

هناك رواية ثالثة تتجه إلى مجال ثالث، وتفيد في مضامينها أنّ جهاد المرأة هو الصبر على سوء خُلُق زوجها، «**ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل [ثواب] آسية بنت مزاحم**»[2].

نلاحظ أنّ الروايات أكّدت على حُسن التبعّل، وطلب الموافقة، والصبر على سوء خُلق الزوج، وأيضاً عملها في

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٧.

البيت، وتربيتها لأولادها، فهذا كلّه جهاد. وذلك لأنّه إذا سألنا أيّة امرأة عن الشيء الذي يُتعبها ويتطلّب مشقّة كبيرة منها، وعن الأمر الذي يستنزف وقتها وجهدها. وفي الوقت نفسه، يترتب عليها مصلحة كبيرة للاسرة واستقرارها؛ فالجواب سوف يكون الأمور التي ذكرناها. وعلى سبيل المثال، حتى تُهيّء المرأة نفسها وتروّضها لأن تكون متجاوبة مع زوجها في مختلف الأمور، هذا يتطلّب منها أن تواجه هوى النّفس، والتربية الخاطئة، والأفكار والثقافات الخاطئة ـ في حال وجودها ـ وهي كثيرة للأسف، بحيث تروّض نفسها على أن تمتلك من المفاهيم والثقافة والعادات والمهارات ما يجعلها تتعاطى مع زوجها على أساس المرأة الهيّنة اللّينة، وعلى أساس المودّة والرحمة والمعاشرة بالمعروف.

حُسن العِشرة والمودّة والرحمة

نحن نتكلم في حسن التبعّل والأمور التي لها علاقة بالمرأة، ولكن هذا لا يلغي فكرة وجوب حُسن العِشرة من قِبل الزوج تجاه زوجته، لذلك هناك نوع من التكامل بين الفكرتين. أي عندما يُقال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[1] و﴿ٱلرِّجَالُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

قَوَّامُونَ﴾[1]، هذا يعني أنّ للرجل مسؤوليّته في الحياة الزوجيّة والأسريّة، ولكن عندما يمارس هذه القوّاميّة يجب أن يمارسها على أساس المودّة والرحمة وعلى أساس حُسن العِشرة والمداراة وجميل الأخلاق. بل بعض الروايات تُؤكد على أنّه من الجيّد جدًّا وأنّة مطلوب من الرجل معاونة زوجته في البيت، إذا تطلّب الأمر بعض المساعدة من قِبل الزوج، وهذا دليل الرحمة.

لذلك هذه القوّاميّة لا تريد أن تقول للرجل أنت زعيم، بل تريد أن تقول له أنّه يجب أن يكون رحيمًا، أي أن يمارس القوّامية على أساس الشعور مع الزوجة وحُسن الخُلق، وأنّ الدين هو حسن المعاملة، وليس على أساس السلطة بالمعنى الحادّ والجافّ. ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**)[2]، وأيضاً الإمام علي عليه السلام على الرغم من كلّ انشغالاته ومقامه ورتبته، عندما كان يرجع إلى البيت كان يساعد الزهراء عليها السلام، وهذا يجعل المرأة تشعر أنّ زوجها يشعر بها وبتعبها، وهذا أيضًا دليل على المودة والرحمة وحُسن العِشرة، فإذا كان جهاد المراة حُسن التبعُل، في المقابل يجب أن يكون الرّجل رحيمًا وودودًا وحسن العشرة والخلق مع زوجته.

إنّ المرأة العاملة في بيتها بحسب بعض الروايات توصَف

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، الجزء ٢٠، الصفحة ١٧١.

ليس فقط كمجاهدة بل كشهيدة أيضًا، حيث قال الرسول صلّى الله عليه وآله عن تلك المرأة أنّ لها من أجر الشهيد. إذ أنّها تصل إلى مرتبة الشهادة إذا كانت مخلصة في عملها وقدّمت عملها قربةً إلى الله تعالى. ولربما إذا كانت رُتبة إخلاصها أكبر من رُتبة إخلاص المجاهد، قد يكون أجرها وثوابها أكبر. فبعملها في بيتها وتربيتها لأولادها، يمكن أن تصل إلى أرقى مراتب الشهادة.

وهنا يجب الإشارة إلى نتائج حُسن التبعّل، ومن أوّلها على المستوى النّفسي الطمأنينة التي تنعم بها، فهي من الرابحين في جميع الأحوال، لأنّ هدفها الأوّل كان التقرب من الله تعالى بأي طريقة. فكيفما عملت في بيتها أو ربّت أولادها لن تشعُر بالإنزعاج والتعب، بل ستشعر بالسرور، لأنها بذلك تتقرّب إلى الله تعالى. وطالما أنّ تقرّبها لله تعالى، يُصبح عملها في البيت وتعاطيها مع زوجها نوع من الذّكر العملي ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]. لهذا إنّ التعب والانزعاج والملل من القيام بالواجبات المنزلية له علاقة بالحالة الإيمانية.

أمّا ثانيًا، وعلى المستوى الإجتماعي، فهي عندما تُحسن

(١) سورة الرعد، الأية ٢٨.

التبعّل، تُقفل الباب على كل الخلافات الزوجية وعلى كل السلبيات والنتائج التي تترتب على هذه الخلافات.

ثالثًا وأخيرًا، على المستوى التربوي، وعندما تتعاطى من خلال قيَم حُسن التبعّل فإنّها تربّي أولادها على حُسن التبعُل، أمّا أخرويًّا فهو الأجر الكبير والعظيم عند الله سبحانه وتعالى.

الكلمة الطيّبة

ما هو تأثير الكلمة الطيّبة؟ وما هو المقصود منها في قاموس الحياة الزوجيّة تحديدًا؟ وهل الكلام يغيّر واقعًا، في حين أنّ البعض يقول إنّ الفعل أهمّ من الكلام، فماذا ينفع الكلام إذا كان الفعل غير موجود؟

يقول الله في كتابة العزيز: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1]. كما يحدّثنا في الكلمة الطيّبة ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[2].

تعريف الكلمة الطيّبة

هي كلّ كلمة نابعة من القلب تترك أثرًا إيجابيًّا في النفس، تُسكِن روح الإنسان إثر سماعها، تريحه وتفرج أساريره، وتنشئ تقاربًا وموّدة في حالة الزوجين.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

آثار الكلمة الطيّبة

إنّ كلّ كلمة خرجت من العاطفة والمحبّة، من كلّ إرادة خير للآخر يجب أن تثمر. وبالتالي يكون لها العديد من الآثار الطيّبة من حيث مضمونها ومنشئها. لقد ركّز القرآن الكريم على هذا الموضوع ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1]. لم يقل الله سبحانه وتعالى عبارة، جملة، لقد حكى عن الكلمة التي هي تعبير يحمل مضمونًا ومعنًى، وله دلالته وأثره. لقد مثّل لها سبحانه وتعالى بالشجرة. وبالفعل، للكلمة أهميّة كبيرة، سنبيّن بعضًا من جوانب أهميّتها.

قد نجد العديد من الحالات لا يملك فيها الزوج المال وأمورًا أخرى قد يركّز عليها المجتمع من شهادات ومقامات وما إلى هنالك، لكن عنده الأسلوب الطيّب، والكلمة الحلوة، والتعامل الحسن؛ ولهذا السبب حياته مع زوجته حلوة ومستقرّة. بالمقابل، أناس لديهم امكانيّات ماليّة وغيرها، إلّا أنّ حياتهم غير مستقرّة بسبب أسلوب التعامل فيما بينهم، والكلمات التي يختارونها هي كلمات غير طيّبة، وربما تصل إلى أن تكون خبيثة. ولذلك وصلت بعض الحالات إلى الطلاق، والسبب كلمة تركت آثارها وتداعياتها السيّئة، وأولاد تشرّدوا وعائلة تفكّكت نتيجة ذلك.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

وفي المقابل الكلمة الطيّبة؛ ولأهميّة هذه الكلمة والآثار الطيّبة التي تترتّب عليها عبّر عنها القرآن الكريم فشبّهها في قوله تعالى: بـ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]. لم يقل تعالى كلمات، بل كلمة. وهنا هل انتهى الأمر؟ لا، إنّ لها أصلًا؛ فهي تدخل إلى القلب والنفس، فتتجذّر فيهما، وتعطي نتائج حلوة، وثمارًا طيّبة، وفيئًا وظلالًا لأعوام وأعوام.

البعض يستهين بحقيقة الكلمة، ويدّعي أنّ الفعل أهمّ من الكلام. إنّ كليهما مهمّ؛ الفعل مطلوب، والكلمة أيضًا مطلوبة. ولتبسيط الحديث وتوضيحه، نضرب مثالًا من الحياة العمليّة. يدخل الزوج أحيانًا إلى البيت، فتعبّر له زوجته عن نوع من التعب، لا أريد أن أقول التأفّف، بالنسبة للأولاد وغير ذلك. هناك نوعان من الجواب في هذه الحالة: مرّة يقول لها أنت لديك من الأولاد اثنان، ثلاثة، أربعة، انظري فلانة لديها سبعة أو ثمانية أولاد وهي تربّيهم. بينما النوع الثاني، هو الكلمة الطيّبة. يستطيع أن يقول لها: آجرك الله، يعطيكِ الله تعالى العافية، أنت تقومين بدور مهمّ في تربية الأولاد...

مشهد آخر، يدخل الزوج فتكون زوجته تعبة من عمل البيت. الجواب: لستِ أنتِ فقط التي تعمل، أنتِ تعملين وأنا

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

اعمل مثلك. يمكنه أن يقول لها إجابة أخرى: آجرك الله، لك ثواب ومكانة عند الله سبحانه وتعالى من هذا العمل. وفعلًا بعض النساء لا يطيّب الكلام خاطرهنّ فقط، بل يريح لهنّ نفسيّتهنّ أيضًا، وهو يعالج بعض التعب لديهنّ وبعض الأمور النفسيّة الموجودة عندهنّ.

إنّ لهذا الموضوع أهميّة كبيرة، فلو اعتمد بشكل دائم، لترك آثارًا طيّبة جدًّا. في بعض الحالات الزوجيّة بعض النساء قد تعيّر زوجها قليلًا، تقول له؛ انظر إلى فلان كيف يتكلّم مع زوجته، أو انظر فلانة بأيّ أسلوب وبأيّ طريقة تتكلّم مع زوجها، وهذا دليل أنّ هذا (أي الكلام الطيّب) مورد حاجة غير عاديّة بالنسبة للناس. كما إنّ الكثير من الكلام الذي يُسمع يعبّر عن هذا الأمر، لأنّ الناس يعايشون هذا الأمر بشكل مباشر. والروايات أيضًا تؤكّد ذلك مثلًا قول رسول الله ﷺ: «**قول الرجل للمرأة: أنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبدًا**»[1]. لماذا؟ لأنّ هذه الكلمة الطيّبة، كما عبّر القرآن الكريم، تصبح وديعة في القلب، وتنمو فيه وتتجذّر لتعطي دائمًا أثرًا طيّبًا ونتائج جميلة.

من جهة ثانية، الحديث الذي يذكر عن الرسول ﷺ عن تلك المرأة التي تستقبل زوجها لدى دخوله، وتشيّعه إلى الباب،

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، الجزء ٥، الصفحة ٥٦٩.

وإذا رأته مهمومًا تسأله ما يهمّك، إذا كنت مهمومًا لأمر دينك فزادك الله همًّا، وإن كنت تهتمّ لأمر دنياك، فلماذا تشغل نفسك بالدنيا؟ حيث بشّرها الرسول ﷺ بالجنّة وقال أنّها عامل من عمّال الله تعالى، ولها من أجر الشهداء، حيث ذكر الإمام الصادق عليه السلام: «**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله إنّ لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيّعتني، وإذا رأتني مهمومًا قالت لي: ما يهمّك. إن كنت تهتمّ لرزقك فقد تكفّل لك به غيرك، وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همًّا. فقال له رسول الله ﷺ: بشرها بالجنة، وقل لها انك عاملة من عمال الله، ولك في كل يوم اجر سبعين شهيداً**»[1]. هذا الحديث يؤكّد أنّ الكلمة الطيّبة لها هذا الأثر العظيم على المستوى الدنيويّ والأخرويّ.

الموضوع لا يتعلّق فقط بطريقة الكلام، هذا الأسلوب يفتقده كثير من الناس مع علمهم بأهميّته وقد يعتبر البعض أنّ الكلمة الطيّبة والأسلوب اللطيف والليّن مع زوجته لا يليق بمقام رجولته، لأنّه يجب أن يتحلّى بصفة الزعيم أو السيّد في منزله، بينما تشير الروايات بالنسبة للرجل أنّ عليه أن يكون رحيمًا ودودًا وعطوفًا، وهذه الكلمة الطيّبة خير تعبير عن هذه الرحمة والمودة، وهنا تكمن المشكلة في مجتمعاتنا.

---

(١) مكارم الأخلاق، الطبرسي، ج١، ص٤٣٨

إنّ الموضوع ليس بالأمر البسيط، يترتّب على الكلمة الطيّبة أمور ليست بالأهميّة القليلة، إنّها:

١ ـ تورث المحبّة بين الزوجين.

٢ ـ تنشئ قربًا بينهما ومودّة.

٣ ـ تساعد على الاستقرار النفسيّ.

ولبيان هذه الآثار، نورد مثالًا حيًّا. الزوجة تعاني الكثير من الضغوط، ربّما حالة صحيّة معيّنة، وزوج طيّب أسلوبه سمح معها. هذا التعامل يساعدها على الاستقرار النفسيّ والصحيّ أيضًا. تشير بعض الأبحاث ذات العلاقة أنّ الإنسان مثلما يحتاج يوميًّا إلى كمّ من الطعام، إلى كوب من الماء، يحتاج أيضًا إلى كوب من العاطفة، من الحب. والوعاء الذي يقدّم هذا الكوب من الحبّ هو الكلمة الطيّبة. ولذلك هي حاجة وضرورة، قد لا تقلّ في بعض الاحيان عن ضرورة وحاجة الإنسان إلى الطعام وغيره. وهذا أساس في العلاقة الزوجيّة، والكثير من الحالات الزوجيّة التي تهتزّ، وربما تشارف على الطلاق، من أهمّ أسبابها الافتقار إلى هذا الكلام الطيّب والحاجة إلى حسن الكلام.

كما إنّ لهذا الموضوع أثر كبير على الأولاد، فعندما يرون الأمّ والأبّ على أتمّ وفاق، وكلامهما فيما بينهما هو كلام طيّب، فهم يتعلّمون من الأهل ويأخذون أسلوبهما في الكلام.

وأجمل ما في الأحاديث الشعبيّة ما يقوله البعض من أنّ الكلمة طالعة طالعة، فلماذا لا نختار من الكلام طيّبه، فالكلام بالمجّان، إلّا أنّ حسنه يترك أثرًا جميلًا وسيّئه أثرًا قبيحًا، قد يفتقر المرء إلى المال، لكنّه يستطيع أن يكون لديه أمورًا أخرى لا تقلّ أهميّة (**إنّكم لن تسعو الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر**)[1] على ما جاء في الحديث.

كما إنّ القرآن الكريم يقول ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[2]، فالطيّب لن يختار إلا الطيّب من الكلام، هذا ينمّ عن شخصيته، والخبيث كذلك كلامه تعبير عمّا في نفسه. وكلمتك هي سفيرك إلى الخلق، تكشفك، تظهرك، تعبّر عنك، عن حقيقتك ومضمونك، وقد تفضحك.

ومن جملة الآثار التي تؤدّيها الكلمة الطيّبة أثر أخرويّ مهمّ جدًّا. حيث جاء في كتاب الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[3]، فكيف إذا كانت زوجتك أو زوجك، وهي (أو هو) أحقّ الناس عليك بالكلام الجميل والطيّب. وفي رواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**القول الحسن يثري المال وينمّي الرزق وينسأ في الأجل ويحبّب إلى الأهل ويدخل**

---

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الجزء ١، الصفحة ٥٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

الجنّة»[1]. فقد يكون الرزق محبوسًا، رزقكم في السماء، يحتاج إلى شيء يستجلبه، ويأتي به، والقول الحسن يفعل ذلك. كذا القول الحسن والكلام الطيّب يطيل العمر، فمن باب المثال الذي يقصر عمري الزوج والزوجة هو الكلام السيّء، لماذا؟ إذا كانت حياتهم دائمًا في حالة التنافر والتباغض؛ فسوف تتعب أعصابهما، فتكون النتيجة قصر العمر. والأمر مختلف، إذا غلبت المودة والرحمة؛ حياة مستقرّة نفسيًّا، واجتماعيًّا وعاطفيًّا. كذلك أيضًا هو سبب في دخول الجنّة.

وإذا كان لهذا الموضوع كلّ هذه الآثار الدنيويّة والأخرويّة، فعلينا أن لا تستخفّ به، ونحاول أن نزيل كلّ الموانع التي تعيقه، ونبتعد عن الموروثات الخاطئة في ادعاء أنّ الكلام الطيّب ليس من شيمة الرجل، بل هو دليل وعي وايمان.

ويسأل البعض: ممّن يتوقّع الكلام الطيّب أكثر، من الزوج أو الزوجة؟

من الطرفين طبعًا، وليكن في هذا الأسلوب من التنافس بمقدار ما فيه من الأجر والثواب والقرب من الله سبحانه وتعالى، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[2].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، الجزء ١٢، الصفحة ١٨٦.

(٢) سورة الإنفطار، الآية: ٢٦.

وقد تطرح اشكاليّة أخرى، أحدهم قلبه طيّب، ولكن لا يعرف التفوّه بالكلمات التي تدلّ على ذلك، فهل من الممكن أن يدرّب نفسه عليه؟

إنّ مثل هذا الكلام غير صحيح، ونظريّة القلب الطيّب من دون الفعل أو الكلام الطيّب غير واردة والقران الكريم يقول ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[1]، فما يوجد في قلبك لا بدّ وأن يخرج إلى لسانك، ويظهر في أفعالك.

والبعض يبرّر خطأه، والتبرير ينعى الاصلاح. ويعود سبب ذلك إلى البيئة الاجتماعيّة التي يعيشها الفرد، يتأصّل الخطأ في نفسه، فبدل أن يسعى للتغيير يعمد إلى التبرير. قد يحصل أنّ أحد الزوجين قد عاش في بيئة تستخفّ بالتعبير الكلاميّ وأسلوبه الطيّب، لكن إذا وجد عبارات طيّبة تقال له، فذلك يستدعي استدرار العبارة الجميلة والطيّبة منه.

ولنفترض على سبيل المثال أنّ الزوج أسلوبه طيّب، كلماته جميلة، والزوجة قد تكون خلاف ذلك ـ ربّما البيئة البيتيّة التي عاشت فيها لم تكن مساعدة ـ وهي بسبب ذلك غير ملتفتة إلى ذلك الأسلوب، لكنّها عندما ترى زوجها كيف يتعاطى معها، بهذه الكلمة الطيّبة أو تلك التي تحمل العاطفة والاحترام

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

والدفء، فإنّها تشعر وجدانًا بأهميّة هذا الموضوع، وعندما تشعر بأهميّته سيدفعها ذلك لتتكلّم مع زوجها وأولادها بنفس الأسلوب. وهذا أثر آخر؛ وبهذا يساهم الزوج بكلمته الطيّبة في إصلاح زوجته بتعليمها ذلك.

سؤال آخر:

امرأة زوجها طيّب جدًا، ولكنّه لا يعبّر عن طيبته لها، أو يتكلّم عنها الكلام الطيّب والجيّد أمام الناس فقط، ولا يقوله لها؟

ما يحصل هو أنّ البعض لديه موانع تحول دون إظهار هذه الطيبة، ومن أهمّ هذه الموانع تربية خاطئة في بعض المناطق أو المنازل، أو نتيجة لعدم الالتفات والوعي لتأثير الكلمة الطيّبة على الزوجة، فيأخذ هذه الكلمة الطيّبة إلى المكان غير الأساس. ونحن نقول لهذا الرجل لو كان لديك هذه الطيبة فأحقّ الناس بها هو زوجتك وبيتك، فإذا كان لدى شخص شجرة مهمّة جدًّا يزرعها في حديقته. هذه الكلمة الطيّبة هي الشجرة الطيّبة، ازرع عند الناس، ولكن أحقّ الناس بك هي حديقتك، التي هي زوجتك وأولاك وأرحامك وخصوصًا والداك.

الصبر في الحياة الزوجيّة

كيف يكون الصبر المعين على تخطّي الصعوبات في الحياة عامّة والزوجيّة خاصّة، وما هي أهميّة الصبر في خصوصيّة هذه العلاقة؟

يجدر الإشارة أوّلًا إلى أنّ طبيعة الحياة الدنيا مليئة بالمصاعب والمحن والابتلاءات، وأنّه لا محيص منها، وأنّ اختلاف أطباع البشر يمكن أن يكون موردًا للنزاع. كما أنّ الحياة الزوجيّة جميلة بقدر ما نتحسّس جماليّتها، وصعبة إذا لم نحسن التعاطي فيها، وكلا الزوجين بطبيعة الحال إمّا من بيئات مختلفة، أو على أقل تقدير إنّ كلًّا منهما تلقّى تربية مغايرة، فيحملان ـ المرأة أو الرجل ـ بعضًا من رواسب تربيتهما؛ فقد يتعارضان في بعض الآراء، أو يختلفان في بعض الأمور، وهذا أمرٌ طبيعيّ ليس موضع استهجان.

فإذا حصل خلاف بين زوجين، يتصدّر أسلوبان للمعالجة؛ إمّا الاصطدام بهذا الخلق أو الطبع فيجعل الطرف الآخر يمارس

نوعًا من العناد أو التشبّث بخلقه، وربّما يسعى إلى تأصيل هذا الخلق السيء الموجود عنده. وإمّا الصبر عليه وهو لا يعني السكوت أو التغاضي عنه.

تكمن أهميّة الصبر في العلاقة الزوجيّة في بعدين: بعدٌ أخرويّ أكّدت عليه الروايات، سواء مَن جانب الرجل تجاه المرأة، أو المرأة تجاه الرجل. وبعدٌ دنيويّ له ارتباط بطبيعة العلاقة بين الزوج وزوجته، وعلى مستوى الأسرة بشكل عام.

فيما يرتبط بصبر المرأة ورد في بعض الروايات عن رسول الله ﷺ: «**ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل [ثواب] آسية بنت مزاحم**»[1]؛ زوجة فرعون التي عُرف أنّها من أكثر النساء معاناة مع زوجها. فالله سبحانه وتعالى يعطي تلك المرأة التي تصبر على سوء خلق زوجها مثل أجر آسيا وثوابها وهو ثواب عظيم وكبير جدًّا.

وفي المقابل هذا الصبر أيضًا مطلوب من الرجل، فقد ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ: «**مَن صبر على خلق امرأة سيّئة الخلق، واحتسب ذلك الأجر عند الله سبحانه وتعالى أعطاه الله تعالى ثواب الشاكرين**»[2].

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٧.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، الجزء ٣٠، الصفحة ١٧٤.

يتّضح أنّ هذا الأمر مطلوب من الجهتين، وإذا رجعنا إلى طبيعة العلاقة الزوجيّة فلا يوجد زواج يخلو من مشكلة ما عند الرجل أو المرأة، لأنّ هناك اختلاف في الطباع أو التربية، وهناك عوامل عديدة لذلك.

منافع الصبر:

الصبر الايجابيّ يكون مصحوبًا في بعض الأحيان بالكلمة الطيّبة والنصيحة الهادفة، التي تتميّز بالأسلوب الحسن والتي تهيّئ الجوّ للطرف الآخر كي يتغيّر، وهذه هي الغاية من الصبر. فلنأخذ الغضب مثلًا، فإذا كان الشخص سريع الغضب، والطرف الآخر يصبر ولا يؤججه ولا يفعّل هذا الخطأ، يمرّ مرور الكرام. بالتالي هذا الأمر يجعل نار الغضب تخمد، ومرّة تلو الأخرى تتهيّأ البيئة التي تساعد الطرف الآخر ـ زوجًا أو زوجة ـ للتغلّب على غضبه أو أيّ سوء خلق آخر، وهذا من إيجابيّات الصبر. وإذا لم يحصل يكون الزوج أو الزوجة قد أدّى ما عليه تجاه الطرف الآخر، وسوف يجد نتائج عديدة على المستوى الأخرويّ وعلى المستوى الدنيويّ في مجالات ثانية.

فثمار الصبر ونتائجه ليست محصورة بتغيير الخُلق الموجود عند الطرف الآخر، هناك نتائج أخرى لا تقلّ أهميّة عن هذا. الصبر بشكلٍ عام يقفل الباب على الخلافات الزوجيّة، وبالتالي

على مشاعر النفور والكره والبغض، وعلى دخول الشيطان بين الزوجين، وعلى الكثير من الأمور السيّئة والكريهة، التي من الممكن أن تحصل بينهما. وأكثر من ذلك، يقفل الباب على مسألة العناد بين الزوجين في حال نشوء الخلاف.

ومن المفيد أيضًا قبل الزواج الاستصراح عن أهل الزوجة كيف يتعاملون مع بعضهم، لأنّ الزوجة إذا صبرت والزوج كذلك فهم يقدّمون قدوة صالحة لأولادهم ولكلّ الناس المحيطين بهما. بالتالي من خلال هذا العمل يمارسون تأثيرًا على الناس، ويدفعونهم إلى التحلّي بالصبر والإقتداء بهما، ولهما أجر عظيم على هذا العمل وخصوصًا على المستوى الأخرويّ.

كما قد يتصوّر البعض خطأً أنّ الصبر هو جبن. لقد ذكرت العديد من الروايات التي تتحدّث في الصبر، على أنّه شجاعة وليس جبنًا أو ضعفًا، لأنّ القويّ هو الذي يقوى على مغالبة انفعالات نفسه وضبطها. فعلى سبيل المثال في الخلاف الزوجيّ، إذا تُرك العنان للانفعالات والغضب، فقد يتطوّر ليصل إلى الطلاق. بينما إذا كان هذا الشخص قويًّا حقيقةً، ويمكنه أن يضبط هذه الانفعالات، وكان لديه الجرأة، فإنّه يعالج المشكلة بغضّ النظر عن تقييم بعض الناس سلبًا أو إيجابًا، لأنّه يعرف أنّ الصبر هو طريق الوصول إلى تلك النتائج الإيجابيّة على مستوى العلاقة الزوجيّة، وعلى مستوى الأسرة بشكل عام.

الصبر يقفل الباب على الطلاق، ويحافظ على الأسرة ويمنع من تفكّكها. فكم من الزوجات والأزواج عانوا في حياتهم فصبروا على الأذى، حتّى بدّلهم الله بأحسن ما يتمنون.

حُكي لي أنّ إحدى الزوجات ابتلاها الله سبحانه وتعالى بزوج سيّء الخلق، فصبرت عليه وعلى الفقر أيضًا لأجل عائلتها، فعوّضها تعالى في الدنيا قبل الآخرة عن كلّ الذي عانته في حياتها؛ فقد منّ الله عليها بذريّة صالحة، وأنعم على أولادها بوفرة من المال والرزق. هناك مقولة شعبيّة عند كثير من النساء والرجال «صبرت ونلت». فعلًا هذا الذي يحصل، وفي الروايات تأكيد على أنّ نهاية الصبر الظفر، وأنّ صبر الشخص يثمر في الدنيا وفي الآخرة.

هناك ثقافة خاطئة في المجتمع لمعنى الرجولة ولمفهوم الصبر والمداراة، وفهم يبتعد عن الجانب القيميّ الأخلاقيّ. كذلك مفهوم الغضّ عن الأذى أو التحمل؛ هذه المفاهيم أساسيّة. فالرجل هو الذي يستطيع أن يغضّ النظر عن أذى صدر من زوجته، وهذا لا يعني في المقابل أنّه لا يعمد إلى النصيحة والكلمة الطيبة، التي تساعد زوجته على أن تغيّر في نفسها، أو أن تساعد الزوجة زوجها ليتخلّص من خلق سيء فيه أو تصرّف خاطئ.

وقد يقول البعض إنّ الصبر يؤدي أحيانًا إلى خلل في

العلاقة الزوجيّة؛ هذا يرتبط بنوعيّة الصبر أو مرتبته. فمن الممكن أن يكون الصبر سلبيًّا؛ أي يمارس كُرهًا ويكون فيه نوع من الامتعاض والانزعاج، فيؤدّي إلى ردّات فعل سلبيّة على المستوى الصحيّ والنفسي وغير ذلك. وهذا في الحقيقة ليس صبرًا جميلًا، وإن كان صبرًا فهو مرتبة ضعيفة من مراتب الصبر.

هناك مراتب مهمّة من الصبر، ومنها ما يشير إليه القرآن الكريم، وتتحدّث بعض الروايات عن الصبر الجميل حيث لا تشتكي الزوجة إلى أحد قط، لأنّها لا تشعر أنّ هناك مشكلة أو لا تشعر بثقلها، بل أكثر من ذلك من الممكن أن يصل الصابر إلى درجة يشعر فيها بالإطمئنان، حيث يلقي الله الإطمئنان في قلبه نتيجة للصبر الجميل، فيحتسب المرء كلّ ألمه ومعاناته عند الله تعالى.

كما يوجد فرق بين الشكوى والمشورة. الشكوى لها طابع سلبيّ، بينما المشورى تساعد على التخلّص من المشكلة. الشكوى تظهّر المشكلة إلى الخارج وقد تفاقم نتائجها السلبيّة. وأكثر من ذلك، يقول علماء النفس إنّ الكلام يؤدّي أحيانًا إلى تفاقم بعض المشاكل نفسيًّا ولا يخمدها. في حين أنّ الصبر هو الإكسير الذي يبدّل حقائق الأشياء، فبدل أن تكون نقمة، فإنّها تصبح نعمة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله تعالى ابتلى قومًا**

بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة»[1]، هذا هو الصبر الذي نطلبه.

في المقابل إذا كان يشعر ويتفاعل مع الصبر ومع حقيقته، ويلتفت إلى الثمار الإيجابيّة الأخرويّة والدنيويّة التي تترتّب عليه، وإلى الكرامات المعنويّة التي لا يصل إليها إلّا من يوفّق للصبر، فعندها سوف يتشوّق إلى الصبر، وإلى تحمّل مرارته، حتّى يصل إلى أن يتبدّل طعمه، فيصبح حلوًا بعد أن كان مُرًّا.

وعدم الوصول إلى تلك النتائج ينذر بوجود خلل في عمليّة الصبر، فعلى الزوجة أن ترفع درجة الصبر عندها، إلى أن يساهم في دور أساسيّ في علاج المشكلة، فضلًا عن ايجابيّته في حال كان مقرونًا بشي من الشجاعة، لتصارح زوجها بالكلمة الطيّبة والأسلوب الحسن الذي يساعد الزوج على أن يغيّر ويبدّل هذا السلوك أو ذاك ويعرض عنه.

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١٤٨٧.

قوامية الرجل على المراة

هل مطلوب من الزوجة أن تصبر بلا حدود؟ وفيما يخّص القواميّة، هل فهمت المرأة حقيقتها وهل فهمها الرجل، لذلك ما معنى القواميّة؟ ما هي فوائد هذه القوّاميّة؟ هناك بعض الرجال يستغلون القوامية بشكل سيء، ما رأيك؟ هناك تركيز على موضوع الانفاق وخروج المرأة إلى العمل من قبل الناس، فهل هذا له علاقة بالقواميّة؟

من حيث المبدأ، يجب أن يكون الصبر من دون ضوابط، هذا إذا تكلّمنا عنه بشكل نظريّ، ولكن السؤال الأساسيّ هو على ماذا يجب أن تصبر؟ مرّة يكون هناك موضوع معين يتطلّب أن يكون صبرها عليه غير محدود، ومرّة أخرى تكون طبيعة المشكلة تحتّم عليها أخذ موقف ينهي هذه العلاقة، لذلك لا يمكن أن نحكم على الصبر بشكل نظريّ، لأنّه يعتمد على نوع المشكلة وظروفها.

القرآن والقوّاميّة

ورد في القرآن الكريم ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1] وهناك آية أخرى تقارب هذا الموضوع أيضًا ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، فالقرآن الكريم واضح في هذا الموضوع. وجاءت الكثير من الروايات كي تفصّل هذا الأمر أيضًا.

مفهوم القوّاميّة

إنّ القواميّة في موضوع الأسرة، يعني أنّ الأسرة لا تختلف عن أية مؤسّسة من مؤسّسات المجتمع، بل هي من أهمّ مؤسّسات المجتمع. بالتالي هذه المؤسّسة يجب أن لا تخرج عن النظام والسنّة الموجودة لدى جميع المؤسّسات في

المجتمع. حيث يجب أن يكون هناك قيّم أو مدير على رأس أيّة مؤسّسة. وإلاّ إذا تُركت هذه المؤسسة بدون رأس يدبّرها أو قيِّم يُمسك أمورها، فهذا سيؤدّي إلى خلل كبير فيها، وبالتالي يؤدّي إلى فشلها على مستوى أو آخر.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

والإسلام والقرآن خصوصًا، يعرض إلى أهميّة وجود هذا الشخص في الأسرة، فجاءت الآية القرآنيّة لتفسّر سبب اختيار الرجل من قبل الله سبحانه وتعالى ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] أي إنّ الله تعالى أعطى الرجل بعض الميّزات التي تجعله قادرًا على أن يقوم بهذا الدور. وبالمقابل أعطى المرأة بعض الميّزات التي تجعلها قادرة على أن تقوم بدور آخر يتكامل مع دور الرجل. لكن هذا يعني أنّ الرجل أفضل من المرأة في بعض الوظائف، وهي أفضل منه في وظائف أخرى. وهو لا يعني أنّه أكرم منها عند الله، لأنّ الأفضليّة تختلف عن الأكرميّة. فالقوّاميّة هي مفهوم وظيفيّ، أمّا الأكرميّة لها علاقة بالرتبة الدينيّة أو الأخرويّة؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

كذلك الأمر فإن الجانب الإقتصادي له أيضاً دور أساس في تلك القوامية ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[3].

فوائد القواميّة

لقد ذكرنا سابقًا، أنّ الأسرة يجب أن يكون لها قيِّم يتولّى مسؤوليّة إدارة هذه المؤسّسة بحيث تكون نوعًا ما منضبطة،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

ويعمل على تنظيم أمورها وضبطها، ويكون الزوج بمثابة الحامي للأسرة. والأهمّ هنا هو الفوائد التي تتركها فكرة القوّاميّة على الزوجة خصوصًا.

أوّلًا، بما أنّ القوّاميّة مسؤوليّة، فإنّها ملقاة على عاتق الرجل وليس المرأة، وبالتالي ترتاح المرأة من هذه المسؤوليّة، وتتفرّغ لمسؤوليّات أخرى تُعنى بها، قد تكون أهمّ. يقول الإمام علي عليه السلام: «**المرأة ريحانة وليست بقهرمانة**»[1] أي يجب أن نحافظ على أنوثتها وخصوصيّاتها.

ثانيًا، أجر وثواب هذه المهمّة، والقبول بها من المرأة هو عند الله سبحانه وتعالى، إذ إنّ القواميّة فيها بعض الإختبار والإبتلاء للمرأة، فالله تعالى هو الذي جعل هذه القوّاميّة وليس الرجل. وهي عندما تُسلّم لهذه القوّاميّة فهي تسلّم لله سبحانه وتعالى، وتكون طاعتها حقيقة لربّ العالمين ويكون أجرها عليه.

ثالثًا، عندما تروِّض المرأة نفسها على هذه القوّاميّة، فهي بذلك تزكّي نفسها وتربّيها على التّواضع واللين. أي إنّ الفوائد التربويّة والرّوحيّة التي تعود إليها في هذا الموضوع كبيرة جدًا.

رابعًا، عندما تسلّم المرأة لهذه القواميّة، فهي بذلك تعطي درسًا لبناتها أن يكنّ زوجات صالحات في المستقبل.

---

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الجزء ٤، الصفحة ٢٨٧٥.

خامسًا، تستطيع الحصول على الكثير من الأمور، إذا أظهرت للرجل استجابتها للقوّاميّة. مثلًا الموظّف الذي يكون أكثر طواعيّة لمديره ـ طبعًا بما يتناسب مع المعايير القانونيّة والأخلاقيّة ـ يحصل على الذي يريده أكثر ممن هو غير مطيع أو متمرّد، وبالتالي هي تستفيد بذلك.

أمور يجب الإلفات إليها:

مرّة نقول إنّه ليس هناك قوّاميّة للرجل أبدًا، وهذا خطأ. ومرّة أخرى نقول إنّ لديه قوّاميّة، ويستطيع أن يمارسها كيفما يشاء، وأيضًا هذا خطأ. وبالمقابل نقول: الصحيح هو إنّ للرجل قوّاميّة، ويجب أن يمارسها كما أراد الله تعالى من خلال قِيَم المودّة والرحمة والعفو واللّين والتسامح. بتقديري، إنّ كيفيّة ممارسة قواميّة الرجل هي أهم من القوّاميّة نفسها. ذلك لأنّه عند إعطائه القواميّة، فإنّنا نعطيه (السلطة) بشكل أو بآخر. لذا يجب أن نعرف كيفيّة استخدام هذه القواميّة والصلاحيّة.

والأهمّ من هذا كلّه، على الرجل أن يُوظِّفها من أجل مصلحة الأسرة ككل. لذلك في بعض الأحيان وعلى المستوى الشرعيّ، إذا لم يستخدم الرجل هذه القواميّة أو الصلاحيّة التي أعطاه إيّاها الله تعالى في مصلحة الأسرة، من الممكن أن تنزع منه، فهي ليست له بالمطلق، بل بشرطها وشروطها. هي عطاءٌ

من الله سبحانه ويجب أن تُستخدم كما أراد الله تعالى. هذه من أسباب لجوء المرأة إلى الحاكم الشرعيّ، لأنّه عندما يُسيء الزوج استخدام هذه القوامية (السلطة)، تلجأ المرأة إلى سلطة أعلى منه، لتعالج هذا الوضع.

يركّز الناس في المجتمع على موضوع الإنفاق فهل هذا له علاقة بالقوامية؟

إنّ مسألة الإنفاق ترتبط بالقوّامية من جهة واحدة، أي بما هي مؤسسة لها من ناحية إنفاق الزوج على الزوجة وأسرته. وأمّا من الجهات الأخرى فلا علاقة لتلك المسألة بها، لأنّ الله عندما تحدّث في القرآن الكريم عن القوّامية، جعل من أسبابها الإنفاق، أي على الرجل أن يُنفق على زوجته وعلى أسرته وهو ما يؤسّس لتلك القوامية.

وهنا يجب الإشارة إلى أنّه عندما نتحدّث عن القوّامية، فإنّنا نتحدّث عن قوّامية الرجل على النساء من باب توفّر بعض الخصائص فيه. وفي بعض الحالات تكون المرأة أكثر وعيًا وأكفأ من الرجل، وتمتلك القدرة على إدارة جيّدة للأمور، وبإمكانها الإنفاق على الأسرة، ولكنّ الإسلام يشرّع بما ينسجم مع الفطرة والمصالح الواقعيّة والنوعيّة للإنسان والمجتمع، أي بما ينسجم مع مصلحة النوع وليس بناءً على بعض الإستثناءات.

من هنا تبقى القوّاميّة للرجل، ولكن دور المرأة يتعزّز على المستوى العمليّ إلّا إن كان الحاكم الشرعيّ وبناءً على معطيات ثابتة وخاصّة ترتبط بمصلحة الأسرة، يرى رأيًا آخرًا في الواقعة بعينها.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ بعض المفاهيم التي تتسرّب إلى مجتمعاتنا غير صحيحة. فالبعض يقول إنّ هناك مساواة بين الرجل والمرأة، وهذا خطأ، لأنّه في الإسلام هناك عدل وليس مساواة والفرق كبير بينهما. فبعض المساواة قد يؤدّي إلى الظلم وليس العدل. وعلى مستوى الحياة الزوجيّة، لا توجد ديمقراطية بمعنى الفلسفة السياسيّة، فمثلًا لا تجرى انتخابات لاختيار القيّم من قبل الأولاد والأسرة، وإنّما هذا جعل من الله سبحانه وتعالى.

طاعة الزوجة لزوجها

مفهوم الطاعة:

لنتعرّف في البداية على مفهوم الطاعة ومعنى طاعة الزوجة لزوجها. إنّ موضوع الطاعة وحقّ الطاعة موجود في الحقوق الدينيّة الشرعيّة، ومسألة الطاعة قانونيّة وحقوقيّة أيضًا.

هذا المفهوم هو على قدر من الأهمّيّة، حيث إنّ القرآن الكريم تعرّض إليه في آياته التي لها علاقة بثقافة الحياة الزوجيّة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[1] يعني المطلوب من الزوجة تجاه الرجل وزوجها تحديدًا أن تقابله بالطاعة، فإذا قابلته بالطاعة لا يُبغى عليها. أمّا المطلوب من الرجل بالمقابل هو تقدير هذا التعامل، وأن تكون ردّة فعله وطريقة تعامله بطريقة لا تتجاوز الحدود، وإنّما عليه أن يُقدّر هذه الطاعة، وأن يجعلها في مجراها وفي حدودها باعتبار أن الطاعة التي طلبها الله سبحانه

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

وتعالى من الزوجة للزوج هي الطاعة في إطار الحياة الأسريّة ومصلحتها، وفيما يرتبط بهذه المؤسّسة الزوجية. لذلك ليست حدود هذه الطاعة حدوداً مطلقة، وإنّما حدودها هذه المؤسّسة وهذه العلاقة الأسريّة التي تجمعهما.

١ ـ إذاً هي ليست طاعة عمياء أو كما يقال مطلقة؟

ليست هذه الطاعة عمياء أو مطلقة، بل هي طاعة هادفة، باعتبار أن الهدف منها بالمعني الغيبيّ أو الأخرويّ هو طاعة الله سبحانه وتعالى، وهي في حقيقتها كذلك، فلو لم تكن طاعة لله تعالى لما كانت مطلوبة من المرأة. أمّا بالمعنى العمليّ فهي محدودة في اطار العلاقة الزوجيّة والأسريّة، ومصلحة تلك الأسرة، وبما لا يتعارض مع قيم الدين وأحكامه.

٢ ـ كيف نفرّق بين الطاعة وتوظيفها بشكلٍ صحيح وبين استخدامها بشكل تسلّطيّ؟

نعم يمكن أن يسأل أحدهم عن كيفيّة التمييز بين الطاعة وحسن توظيفها وبين سوء استخدامها، فعلى ذلك نقول إنّه إذا أردنا أن نفرّق بين التسلّط والطاعة، فهناك شيء مطلوب من الرجل وآخر من المرأة، إذ إن موضوع الطاعة له علاقة بالمرأة باعتبار القواميّة. فالمطلوب من المرأة هو الطاعة وممارستها بطريقة إيجابيّة. أمّا فيما يخصّ الرجل، فالمطلوب منه أن يمارس

هذه القواميّة ضمن الإطار الأخلاقيّ وضمن الإطار القِيَمِيّ، ولكن يجب أن تدرك المرأة في المقابل أهمّيّة هذه الطاعة.

ليست الطاعة بتقديري مجرّد حقّ للرجل على المرأة، وليست بمثابة واجب على المرأة تجاه الرجل أو تجاه الزوج؛ لأنّه إذا أردنا أن نناقش أهمّيّة هذه الطاعة والفوائد التي تترتّب على هذه الطاعة، نجد أنّ هناك منافع أساسيّة تعود على المرأة. أصبح الموضوع يُفهَم على أنّه نوع من المنقصة بحقّ المرأة، مع العلم أنّه إذا ذهبنا إلى الجانب الاجتماعيّ بمعناه العامّ، فكّل المؤسّسات الاجتماعيّة قائمة على أساس الطاعة. فإذا عملت هذه المرأة نفسها في مؤسّسة تجاريّة، ستقابل رئيسها بالطاعة. وهناك ليس لديها مشكلة في هذا الموضوع، أو في ممارستها وظيفتها على هذا الأساس. بل هذا السبب عينه هو من الأسباب التي تجعل بعض المؤسّسات تختار النساء للعمل. وليس ذلك فقط من الجانب الاقتصاديّ (أي إنّ أجرها أقلّ) بل هو أيضًا لاستعدادها النفسيّ للطاعة، وتقبّل الأوامر من شخص آخر يكون رئيسًا لها. أمّا التكوين النفسيّ عند الرجل فيجعله يتّجه لممارسة نوع من القيادة، وهذا ما نواجهه في المجتمع وفي مختلف المجالات الإجتماعيّة، والسياسيّة والمؤسّساتيّة، وهذا له علاقة باستعداد فطريّ موجود عند كلّ من المرأة والرجل. فلماذا عندما تذهب المرأة لأيّة مؤسّسة تجاريّة نجد عندها كامل الاستعداد

للطاعة، ولكن إذا ذهبت إلى المؤسّسة الزوجيّة تعتبر هذا منقصةً لها وحطًّا من مكانتها، مع العلم أنّها في المؤسسة التجاريّة تمارس هذه الطاعة لقاء أجر ماليّ، بينما هي تمارس هذه الطاعة في حياتها الزوجيّة لقاء أجر أخرويّ بالدرجة الأولى. وهنا يجب أن ندخل إلى فوائد هذه الطاعة.

أولاً: عندما تطيع زوجها فهي تطيع الله سبحانه وتعالى. وطاعتها لزوجها واجبة، لأنّ الله تعالى طلب منها أن تفعل هذا الفعل. لذلك يجب أن تدرك كلّ امرأة مسألةً اساسيّةً، وهي أنّ طاعة الزوج هي طاعة لله تعالى، وهذا موجود في القرآن والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

ثانيًا: على الصعيد الاخرويّ، هناك أجر وثواب كبيرين في ذلك، والكثير من الروايات التي تذكر في هذا المورد تؤكّد على أنّ من أهم السبل للوصول إلى الجنّة، هو في طاعة الزوجة لزوجها.

ثالثاً: إنّ طاعتها لزوجها تهيّئ بيئةً جيّدةً لحياة زوجيّة سعيدة وهانئة.

وعلى ذلك، إذا كان هدفها هو الحصول على محبّة زوجها واحترامه وتقديره لها، يجب أن تستحصل على هذا الموضوع بالطاعة. فإن كان موظّف ما في مؤسّسة تجاريّة لديه ميل للتّمرد على رئيسه، فهذا يؤسس لعلاقة غير صحيّة بينهما. وتصبح بذلك

العلاقة بينهما غير سويّة (حتّى على المستوى العاطفي وبعيداً عن الجانب الإقتصادي والمالي)، إذ يصبح هناك نوع من النفور والحساسيّات بينه وبين المدير. لذلك إذا أرادت المرأة أن تأخذ من زوجها العاطفة والمحبّة والاحترام والتقدير، يجب أن تعامله على أساس الطاعة، وأن تشعره باحترامه. لأنّ الزوج يرى نفسه أنّه سيّد مملكته، وسيّد هذه الأسرة، وهو عليه أن يمارس هذه السيادة على أساس أخلاقيّ وقِيَمِيّ. فإذا شعر أنّ زوجته تميل إلى التمرّد، فسوف يؤدي هذا الأمر إلى أن يحرم هذه الزوجة من أيّ عاطفة ومحبّة، بعد أن يكون جرّب كل الوسائل التي تساعد زوجته على أن تعود عن ذلك.

نضيف أنّه من فوائد الطاعة أيضًا، أنّ لها أثرًا تربويًّا أساسيًّا جدّاً من ناحية الجانب الروحيّ، باعتبار أنّ علاقة الزوجة بالله سبحانه وتعالى وبزوجها والأسرة، يجب أن تتّصف بصفات اللين والعاطفة، (أو ما يُعَبّر عنه بصفة الأنوثة)، أي أن تكون ودودة وليّنّة وهيّنة. فإذا أرادت أن تكتسب هذه الخصائص، يكفي أن تعبّر عن الطاعة وعن استعدادها لها، وأن تمارسها تجاه زوجها. فبذلك تكون قد هيّأت نفسها لاكتساب هذه الصفات.

وهي بذلك ـ علاوةً على ما تقدم ـ تمارس دورًا تربويّا تجاه أولادها فيما يخصّ طاعتهم للوالدين، عندما يرون أمّهم

كيف تمارس تلك الطاعة بكلّ وعي ومحبّة وتواضع وأخلاقيّة عالية، فهذا له مردود مباشر حتى بالنسبة لها، وتؤسّس لبناتها كي يكنّ زوجات صالحات في المستقبل، وتريهنّ بذلك الآثار الإيجابيّة للطاعة، فهنا تمارس التربية على الطاعة من خلال تقديم القدوة، كما أنّ التربية على ذلك من خلال بيان الفوائد التي تترتب عليها لها أيضًا أثر خاص.

نصحت إحدى النساء ابنتها فقالت لها: «**يا بنيّة، كوني لزوجك أمة، يكن لك عبداً**»[1]. وهذا صحيح؛ فمرّة يكون هذا العمل قربةً إلى الله تعالى، وهذا يكون له أجر وثواب وبركات معنويّة وروحيّة بالإضافة إلى الفوائد الدنيويّة، ومرّة تقوم بهذا العمل من باب المصلحة، أو لكي تحصل على أمر دنيويّ معيّن، ومنافعه على ذلك لن تكون إلاّ دنيويّة.

ـ هل إساءة استخدام حقّ طاعة الزوجة لزوجها من قبل الزوج تؤدي إلى هذا النفور من النساء من قضيّة الطاعة؟

النفور الحاصل نتيجة سوء استخدام حقّ الطاعة، فله عدّة أسباب:

من أهمّ تلك الأسباب هوى النفس، لأنّه يلعب دورًا كبيرًا في هذا الموضوع. لذلك أغلب المشاكل الزوجيّة تلك التي

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، الجزء ٩، الصفحة ٥٧.

تؤدي إلى الطلاق تنشأ من هذا الموضوع. لو عملت تلك النساء على ترويض أنفسهنّ على الطاعة، وعملن بأخلاقيّات الطاعة، فبتقديري لن يُبعدن فقط شبح الطلاق عن أنفسهنّ وعن علاقتهنّ الزوجيّة، وإنّما ستصبح حياتهنّ الزوجيّة سعيدة أيضًا. وهناك أسباب أخرى تتصل بالجانب التربويّ والوعي الدينيّ والثقافة المجتمعيّة، ولربما يلعب الطبع الشخصي أيضًا دوره في ذلك.

نعم مطلوب من الرجل كما قلنا أن يمارس القواميّة بطريقة أخلاقيّة وضمن هذه القيم، لكن هناك شيىء أساسيّ ومهمّ جداً مطلوب من المرأة أيضًا. ولا يكفي في هذا المجال أن نتكلّم عن مطلوبيّة الطاعة فقط، لأنّه من الممكن أن يُفهم هذا الموضوع على أنّه مجرد أداء قانونيّ، هنا موضوع الطاعة يتجاوز القانون، هناك شيئ آخر ومهم جدًا له علاقة بأخلاقيّات الطاعة. فالقرآن الكريم تكلّم عن الصبر الجميل. لأنّ الصبر له مراتب، وأرفعها الصبر الجميل. فمرّة تمارس الزوجة طاعتها بأدنى مراتبها بطريقة قانونيّة وجافّة، ومرّة تمارس الطاعة بطريقة فيها الكثير من الرحمة والمودة والمحبّة والتواضع، أي فيها رضى لله تعالى. من هنا نقول إنّ طاعتَكِ لزوجِكِ هي كرامةٌ لكِ. وهي مكانة وتقدير ورفعة لكِ قبل أن تكون مصلحةً لك. فعلى هذا الأساس يجب أن تؤدّي هذه الطاعة ضمن أدبيّاتها، أي بشكل جميل جدًّا وراق جدًّا.

موانع الطاعة الزوجيّة

على الرغم من كلّ المنافع التي تكلّمنا فيها، لماذا تستنكف المرأة في بعض الأحيان عن إطاعة زوجها؟ هل من الصعب أن تطيع المرأة زوجها رغم أنّه يُعبّر عنه بالجهاد؟ هناك ثقافة سائدة بين بعض النساء أنّه إذا أنتِ من أوّل الطريق أظهرتِ نوعًا من الإستقلاليّة في الشخصيّة، يفهم عندها أنكِ لن تطيعي كلامه في كلّ الأمور، كيف يمكن لهذا المفهوم الخاطئ أن يُصوّر؟ نسمع الكثير من الأمهات ينصحن بناتهنّ بالمطالبة بالاستقلالية منذ بداية الطريق، فهل هذه الأفكار صحيحة، وكيف يمكن لهذا المفهوم الخاطئ أن يُطرح؟

إنّ عدم إطاعة المرأة زوجها له عدّة أسباب. أولًا، الجهل بالدّين. عندما تكون الثقافة الدينية الصحيحة ـ بما تضمّنته هذه الثقافة من تعاليم وإرشادات ونصائح ترتبط بالحياة الزوجيّة ـ غير موجودة، هذا يؤدي إلى عدم الإستفادة من هذا الموضوع. وبالتالي تؤدّي إلى ممارسات خاطئة تسبّب العديد من المشاكل.

ثانيًا، تسلّلت الثقافة الغربيّة الغازية إلى عقولنا ومفاهيمنا،

حتّى أصبح لدينا الكثير من المفاهيم التي نمارسها بطريقة خاطئة، وهي نتيجة تلك الثقافة الغربيّة. فعلى سبيل المثال عندما يُحكى عن مفهوم المساواة، أي أنّه لا فرق بين الرجل والمرأة، فهذا الفَهم الخاطئ قد يؤدّي إلى خطأ على مستوى الممارسة، علمًا أنّ القرآن الكريم يقول ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾[1] و﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[2]. لذلك، لا نستطيع أن نتكلم عن المساواة بالمعنى الذي يُطرح.

بالإضافة إلى ذلك، وكمثال آخر، إنّ الكلام عن الديمقراطيّة في العلاقة الزوجيّة؛ أي بإمكان المرأة من خلال دورها أن تتجاوز قواميّة الرجل، يؤدّي إلى نتائج خاطئة أيضًا. إذًا السبب هو هذه الثقافة الغربيّة التي دخلت بيوتنا من خلال الإعلام والمسلسلات وغيرها من الوسائل.

ثالثًا، وهو الأساس، أهواء النفس. عندما تكون نفس الإنسان مصابة ببعض الأمراض، ربّما يأبى أن يتنازل لفلان، أو أن يأتمر بأوامر فلان. هذا ينطبق على حديث بعض النساء كقولهنّ: «لماذا عليّ أن أتنازل له» أو «لماذا يجب أن أكون أقلّ منه» أوغيره، فإذا حللّنا طريقة التفكير هذه، نجد أنّ هناك حالة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

نفسيّة غير سويّة، تجعل هذه المرأة تأبى أن تنصاع لزوجها أو أن تُطيعه.

وإذا رجعنا إلى بعض الروايات نجد أنّ رواية رسول الله ﷺ التي تقول: «**لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا**»[1]، رواية مهمّة في معناها، وثقيلة في أعمالها. ولكنّ هدف الرسول ورسالته من هذا الحديث تتمحور حول أمرين. الأمر الأوّل هو أنّ النبي ﷺ يريد من المرأة أن تكون في منتهى الطّاعة والخضوع لزوجها، ويطلب هذا منها ليس امتهانًا لها، بل كرامة ومكانة ومصلحة لها ولزوجها ولحياتها العائلية والأسرية. أمّا الأمر الثاني هو أنّ النّبي ﷺ أراد من خلال هذا البيان استحضار قضيّة إبليس الذي كان طاووس الملائكة وعبد الله ستة آلاف عام، ولكن عندما أختبر في علاقته بآدم في سجوده له، عصى الله وخسر مقامه الذي كان فيه.

اختبار الناس بالناس..

إنّ الله ﷻ لم يترك أحدًا إلاّ واختبره بمختلف ألوان الإختبارات. ومن أشدّ هذه الإختبارات هي أن يختبر الناس

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ١٧، الصفحة ٢٧٧.

بالناس. فالله سبحانه وتعالى لم يطلب من إبليس عبادة أكثر أو أن يسجد له، بل قال له «اسجد لآدم». فكما اختبر الله إبليس بآدم، أراد اختبار المرأة بزوجها، وقال لها أطيعيه. علمًا أنّه إذا كان سجود إبليس لآدم هو سجود لله، فإنّ طاعة المرأة لزوجها هي طاعة لله، وهو من أشدّ الإختبارات.

وإذا كان جهاد المرأة هو حُسن التبعُّل، فذلك لأنّها لا تستطيع أن تُحسن التبعّل إلاّ من خلال فعل الطاعة، ولا تستطيع أن تُؤدّي فعل الطاعة إلاّ إذا كسرت أهواء هذه النّفس. فإذا أصابها إباء مرضيّ، على المرأة كنس هذا الإباء من نفسها حتّى تطيع الله سبحانه وتعالى من خلال إطاعتها لزوجها. وقد حكى الله تعالى عن إبليس بقوله: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[1]، وهذا يعني أنّ الإباء الذي صدر من إبليس كان استكبارًا. وفي الكثير من الحالات، عندما يتأزّم أمر في العلاقة الزوجيّة يكون هذا الموضوع هو سببه، ولا تزول هذه المشاكل إلّا من خلال معالجة هذه الأمراض من التكبّر والعجب والقسوة والحدّة، وغيرها لتغدو المرأة هيّنة ليّنة في قولها وفعلها.

عندما يتمّ الحديث في الطاعة، وعندما تقابل الزوجة زوجها بالطاعة، يصبح هناك رضى بين الطرفَين. فسبب طلب

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

الطاعة من قبل الزوج هو ارتكاز بقيّة الأمور على هذا المفهوم. فمن الممكن أن يطلب الزوج من زوجته عدّة أمور، ولكن بسبب غياب الطاعة تسوء بقيّة الأمور. فعلى سبيل المثال ـ وكما ذكرنا في ما مضى ـ إذا أراد المدير عدّة أمور من موظّفه، وكان هذا الموّظف متمرّدًا وعاصيًا لمديره، لن يؤدّي مُجمل تلك الأمور. أمّا إذا كانت الطاعة موجودة، تتحوّل العلاقة إلى ودّيّة وسليمة ومثمرة، فهذا الموضوع ينطبق على العلاقة الزوجية أيضًا. وبالتالي إذا طلب الزوج ما يريد من زوجته، وكانت الزوجة تمارس أخلاقيّات الطاعة، يصبح بمقدورها معالجة مجمل تلك الأمور مع زوجها، وتطوير نفسها في العديد من المجالات التربويّة والمعنويّة والاجتماعيّة. ويؤدي ذلك إلى وضع الحجر الأساس للحياة الزوجيّة السعيدة.

نحن نبيّن موضوع الطاعة بهذه الكيفيّة من أجل إبعاد فكرة احتقار المرأة من قبل الرجل. بل على العكس، فكما قلنا سابقًا، فإنّ هذا الموضوع هو الأساس في سعادة العلاقة الزوجيّة وسعادة المرأة، بحسب فهمنا الديني والإجتماعي.

ماذا عن المطالبة بنوع من الإستقلاليّة للمرأة في حياتها الزوجيّة؟

إنّ المطالبة بالاستقلاليّة منذ بداية طريق الحياة الزوجيّة

وبتلك الطريقة التي يطرحها بعض المتأثّرين بالثقافة الغربيّة هو أمر خاطىء، لأنّ العلاقة الندّيّة والتعامل الصِدامي في الكثير من الأحيان يؤسّس لمشكلة قد توصل إلى الطلاق.

وفي المقابل من نتائج تلك المعاملة الليّنة مساهمة المرأة في علاج بعض المشاكل الموجودة عند الرجل كتعطيل بعض الطباع لديه. لذلك أذكّر بما قاله الرسول ﷺ عندما أتت إليه وافدة النساء وسألت عمّا للنساء من دور وثواب في قبال ما يقوم به الرجال من حجّ وجهاد وغير ذلك، فقال ﷺ: «**حُسن تبعُّل إحداكنّ لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كلّه**»[1]، أي يعدل جميع ما يقوم به الرجال من عمل وحجّ وجهاد وغيره.

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٤، الصفحة ٢٨٦٩.

حقوق الزوجة على الزوج

يوجّه الحديث دائمًا إلى الزوجة أنّه يفترض عليك كذا وكذا، هل هذا مبالغ فيه؟ ألا يوجد دور للزوج في مفاتيح السعادة أو إغلاقها؟

إنّ أكثر الخطابات الدينيّة التي نوجّهها فيها من التوازن بين ما هو مطلوب من المرأة والرجل على حدّ سواء، ولا يوجد فرق بينهما في موضوع المودّة والرحمة والتسامح، وما إلى هنالك بشكل عام. ولكن يمكننا القول إنّ هناك تركيزًا على موضوع المرأة، وهذا له علاقة بأمرين:

الأوّل عندما يكون المخاطب بشكل أساسيّ هو المرأة، يكون التركيز على واجباتها أكثر من التركيز على الحقوق. في المقابل، حين أتكلّم مع الرجل أيضًا، أركّز على واجباته أكثر. ولا يعني ذلك بالضرورة تجهيل موضوع الحقوق أو التعمية عليها. فلو ركّزنا على الحقوق فقط فيما يخصّ المرأة والرجل كلٌّ على حدة، سينصِب كلّ منهما في المنزل منبرًا إعلاميًّا مقابل الآخر؛ أنتَ يجب عليك، وإنتِ مطلوب منك، فيشكّل ذلك

منهجًا غير صحيح في مخاطبة كلٌّ من الرجل والمرأة. والأولى، أن نخاطب المرأة بشكل أساسيّ بالواجبات المطلوبة منها، وأن نخاطب الرجل بواجباته، فإذا هي امتثلت لهذه الواجبات، وكذا الرجل؛ تسير الأمور بهدوء وصمت وإنسيابيّة كاملة، ومن دون أن يترتّب عليها العديد من السلبيّات.

الأمر الثاني، نلاحظ أنّ الروايات تؤكّد على موضوع المرأة، من حيث قيامها ببعض المهام والواجبات، لأنّه يوجد اختلاف بين طبيعة الرجل والمرأة. بالتالي، هناك اختلاف بين وظيفة المرأة ووظيفة الرجل، بما ينسجم مع طبيعة كلٍّ منهما، بما يتماهى مع ما جاء في القرآن الكريم، وفي روايات أهل البيت عليهم السلام.

وهناك شيء إضافيّ وهو مهمّ جدًّا؛ إنّ التركيز على موضوع المرأة من حيث تحمّلها لبعض المسؤوليّات والمهام يدلّ على نوع من الثقة بأنّ لديها قدرات وطاقات وإمكانيّات في ذاك المجال، وهذا ما أشارت إليه الروايات حول دورها وأنّ جهاد المرأة حسن التبعّل. هو دليل ثقة بهذه الطاقات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في المرأة، من حيث قدرتها على التغيير نحو الأفضل وإصلاح الأمور، وتبديل الأوضاع الزوجيّة الموجودة.

والأهمّ من ذلك هو وعي المرأة وادراكها لهذه الطاقات

والامكانيّات، وحسن استخدامها لإصلاح بعض الأوضاع الزوجيّة، إضافة إلى امكانيّاتها العاطفيّة والشعوريّة، بحيث تستطيع تبديل ما في زوجها، وتغيير بعض التصرّفات لديه، من سوء خُلق، أو ظروف زوجيّة ومنزليّة معيّنة، بالصبر والقدرة على التحمّل والوعي إذا أحسنت استخدامه واستخدام هذه الطاقات الكامنة فيها. وحتّى على المستوى الشعبيّ، تشير التعابير الواردة على ألسنة عامّة الناس إلى حقيقة موجودة لدى المرأة في امكانيّة التغيير في الرجل، وقد تكون بعض العبارات التي تشير إلى ذلك مضحكة أحيانًا، من قبيل هي أقوى من الرجل أو أقدر منه وغير ذلك.

هل على الرجل بعض الواجبات من بينها التودّد، في حين أنّ النساء أكثر حماسة لهذا الموضوع؟

هذا الأمر له علاقة بزخم الجانب العاطفيّ لدى المرأة. وانسجامًا مع ما جاء في الاستصراحات من التأكيد على موضوع الكلمة والكلام، فقد ورد عن النبيّ ﷺ: «**قول الرجل للمرأة: أنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبدًا**»[1]. ليس الموضوع في مجرّد هذا التعبير فقط، إنّما في الإشباع العاطفيّ لها، والتركيز على كلّ ما يرتبط بهذا الجانب تجاه المرأة. وهذا له دور أساس

(١) الكافي، الشيخ الكليني، الجزء ٥، الصفحة ٥٦٩.

يمنحها الاستقرار النفسيّ، كما الرجل. وهو مطلوب جدًّا من قبل النساء والرجال، ولكن طبيعة الحياة قد تجعل الرجل غير ملتفت في بعض الأحيان، ولكن عندما يكون لديه ثقافة تتضمّن إدراك أهميّة هذه الأمور، فلا بدّ أن تنعكس على ممارسته بحيث لا ينساها.

الأمر الثالث والذي يجب أن نلتفت إليه، هو أنّ معيار القرب من الله سبحانه وتعالى يرتبط بمعيار حسن تعامل الزوج مع زوجته. يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**»[1]. التعامل مع الزوجة معيار ومؤشّر، وأيضًا هو سبب للقرب من الله سبحانه وتعالى.

كذلك احترامها، ففي رواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، أنّ من جملة حقوق المرأة أن يكرمها زوجها وأن يعبّر عن تقديره لها: «**وأمّا حقّ الزوجة، فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكنًا وأنسًا، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها...**»[2]. وفي بعض النصوص عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**ما أكرم النساء إلّا كريم وما أهانهنّ إلّا لئيم**»[3]. بمقدار

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، الجزء ٢٠، الصفحة ١٧١.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، الجزء ٥، الصفحة ٥٩٠.

(٣) أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات: لبنان، بيروت، ١٩٨٣م، الجزء ٥، الصفحة ٢٠٦.

ما يكون لديه كرم للنفس واحترام، بمقدار ما يعبّر عن ذلك. بل أكثر، يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، وما بين الآية والرواية تكون النتيجة؛ بمقدار ما يكون لديك تقوى لله سبحانه وتعالى، بمقدار ما تنعكس هذه التقوى إكرامًا للزوجة واحترامًا لها.

وعلى المستوى العمليّ، نحن نلاحظ أنّ بعض الأخوة المتديّنين بحقّ، ينعكس ما في داخلهم مباشرة على تعاملهم مع زوجاتهم. وقد أصرّت الروايات على أنّ اختيار الزوج يجب أن يكون على أساس دينه وخُلقه؛ بمعنى أنّ تقوى الله سبحانه وتعالى قد سكنت قلبه ـ وليس فقط في الظاهر ـ لأنّ هذا سوف ينعكس تلقائيًّا على الزوجة إكرامًا لها وحسن تعامل معها.

وهناك أمر مهمّ جدًّا آخر، فقد تمّ توصيف الزوجة على أنّها أمانة من الله سبحانه وتعالى سوف يسأل صاحب الأمانة عنها يوم القيامة، فالمرأة في بعض الروايات وصيّة جبرائيل: «**ما زال جبرائيل يوصيني بالمرأة حتّى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة**»[2]. جبرائيل يوصي بما يوصي به الله سبحانه وتعالى. عن رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله ﷻ في النساء فإنّهنّ**

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ١٠٠، الصفحة ٢٥٣.

عوان بين أيديكم»[1]. وعوان بمعنى أسيرات؛ باعتبار أنّ العصمة والقواميّة بيد الرجل، لذلك سوف يسأله الله تعالى عنها يوم القيامة. ويكمل الحديث: «**أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرًا**»[2]. هنا تأكيد على التعامل على أساس الرحمة، ولا نفهم منها المعنى السلبيّ؛ أي لا تمارس معهنّ أفعالًا تعبّر عن الكره لهنّ.

إضافة إلى ذلك، هذا الموضوع له دلالة تستحقّ الوقوف عندها، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد به الله خير الدنيا والآخرة**»[3]. فنحن نرى بعض الرجال تمنعهم بعض الأعراف الاجتماعيّة من أن يتواضع ويساعد في أعمال المنزل بمختلف شؤونه وشؤون الأولاد، وقد يشعر أنّ هذا الأمر عظيم عليه. أمّا مَن تسنّى له أن يتعلّم بعض المفاهيم الدينيّة، ويلتفت للأجر والثواب والقرب من الله سبحانه وتعالى، لا يقف عند هذه الاعتبارات الاجتماعيّة، فيكون صدّيقًا؛ بمعنى أنّ فعله يصدّق إيمانه، أو شهيدًا بمعنى أنّه وصل إلى مرتبة الشهادة في الدنيا، فيكون فعله

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٤، الصفحة ٣٢٤١.
(٢) أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، الجزء ١، الصفحة ٢٩٩.
(٣) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٦.

ميزانًا، يشهد على الآخرين يوم القيامة بما كان يقوم به في دار الدنيا، أو يريد له الله سبحانه وتعالى خير الدنيا وخير الآخرة أيضًا، من حيث الآثار الدنيويّة والأخرويّة التي تترتّب على ذلك، والتي منها آثار تكوينيةّ. وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من حسن برّه بأهله زاد الله في عمره**»[1]. فالبرّ ليس فقط للوالدين بل بالنسبة للزوجة أيضًا، حيث إنّ هذا البرّ يؤدّي إلى إطالة العمر.

وأيضًا لا بدّ من الالتفات إلى أمر موجود في المجتمع، وقد يكون موجّه بشكل أساسيّ إلى بعض الرجال الذين يقضون بقيّة الوقت بعد انتهاء عملهم ودوامهم مع أصدقائهم وزملائهم. يخاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الرجال عامّة، وهذا الصنف من الرجال خاصّةً: «**جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا**»[2]، وأشار إلى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم. ليس المعنى أن يترك عمله ويبقى إلى جانب زوجته، ولكن هذا الحديث سوف يضيء على أمر قائم وموجود إلى الآن في بعض العادات الاجتماعيّة عندنا، من التكبّر على الجلوس في البيت، على اعتبار أنّه الرجل، وأنّ من حقّه عندما ينتهي عمله أن يخرج ويقضي بقيّة وقته خارجه، حتّى لا يقولون له ماذا تفعل في

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٦.
(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٦.

المنزل مثل النساء، كأنّ هناك انتقاصًا من قيمته وعنوانه ودوره كرجل عندما يجلس في بيته. هذا المفهوم خاطىء لأنّ هناك دورًا مطلوبًا منك تجاه زوجتك، وتجاه أولادك على مستوى التربية. ففي القرآن الكريم ﴿ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[1] ربّياني أي أمّي وأبي، وليس ربّتني، أي ليست مسؤوليّة التربية على الأمّ فقط. وجود الرجل في البيت هو أيضًا من أجلّ دوره التربويّ، فالوقت الذي يقضيه مع زوجته على مستوى خدمة المنزل، والعناية بشؤونهن وتربية أولاده، هو دليل قرب من الله سبحانه وتعالى، وهو أحبّ إلى قلب رسول الله ﷺ من مسجده.

بعض الرجال يمارسون هذا النوع من الأعمال الخاطئة جهلًا منهم بالدين، وليست ممارسة مقصودة ـ إذا أردنا أن نحسن الظن ـ فالعديد من الرجال ـ كما النساء ـ لديهم هذه الطيبة والفطرة السليمة، فبمجرّد أن يعرفوا ماذا يطلب الدين منهم يغيّروا أفعالهم وسلوكهم. وأؤكّد أنّ على كلّ منهم أن يركّز على واجباته أكثر ممّا يركّز على حقوقه، فلا أنصح النساء أن تنتظر زوجها من أجل أن تجادله فقط بما هو مطلوب منه، وهو أيضًا بما هو مطلوب منها، فعلينا أن لا نتعامل مع هذه المفاهيم تعاملًا أهوائيًّا، فيركّز الرجل على الأمور التي لصالحه، وتنسجم

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

مع أهوائه وكذلك المرأة. بل التركيز يجب أن يصرف إلى ما يساعد على إصلاح النفس والذي يساهم في بناء البيوت والسعادة بين الزوجين.

كما إنّ هناك حقوقًا معنويّة للزوجة غير الجانب الماديّ لا يجب إغفالها، وذلك من خلال إكرامها والرفق بها بحسن خُلقه معها. وللزوج حقوقه باعتبار أنّ كاهله مثقل بالمصاريف والأعباء والنفقات، وفي فهم البعض أنّه مظلوم لأنّ وظيفته هي أن يعطي دائمًا (وهو غير صحيح)؛ فعلى المرأة أن تحترم هذا الجهد، وحتّى لو كان الإنفاق عليها من أهمّ حقوقها، عليها أن تخفّف عنه بالكلمة الطيّبة والتعامل الحسن. وكلّ ذلك بابٌ إلى سعادة زوجيّة تعمر حياتهما بالمودّة والرحمة، فقواميّة الرجل هي لبناء السعادة بينهما، وصبر المرأة وتحمّلها عماد هذه السعادة. ويبقى الجانب الماديّ بخدمة هذه السعادة الزوجيّة، والجانب الروحيّ والمعنويّ لإنارة شعلة هذه السعادة لتضيء أمام الجميع طريقهم وحياتهم.

الأذيّة في العلاقة الزوجيّة

ما هي الأبعاد والآثار السلبيّة للأذيّة في الحياة الزوجيّة، والتي تؤدّي إلى الإنفصال؟

يُعدّ موضوع الأذيّة من أهمّ أمراض العلاقة الزوجيّة، ويتمثّل بكلّ ما يصدر عن أيّ منهما تجاه الآخر، سواء كان من كلمة، من أسلوب، أو من فعل، وغير ذلك.

وهو على قدر كبير من الأهميّة، حيث ذكر القرآن الكريم في هذا الموضوع عددًا من الآيات، وتكلّم عن الأذيّة بموارد عديدة، وركّز على تلك التي تصيب المؤمنين والمؤمنات ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1]، وما يؤدّي إليه من إثم كبير جدًّا، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، ذكرت الروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام هذا الأمر، وأشارت إلى أنّ هذه الأذيّة لها سلبيّات عديدة، بغض النظر عن أنّ أحد الزوجين لديه الإمكانيّة

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

لتلافي هذه الآثار والسيطرة عليها أم لا، لكن هناك آثار سوف تظهر.

الآثار السلبيّة للأذيّة:

أ ـ على المستوى الاجتماعيّ

تساهم الأذيّة بإيجاد الكراهة والنفور بين الزوجين باعتبار أنّها تهدم الحبّ بينهما، وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر التعاطي الحسن مع الآخرين ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[1]، فإذا استطاع المرء أن يتعاطى مع شخص بينهما نفور وكراهية وعداوة، بالتي هي أحسن، يستحيل الذي بينهما مودّة وعلاقة طيّبة. أمّا إذا دفع بالتي هي أسوأ تكون النتيجة عكسيّة، فإذا الذي بينك وبينه صداقة وعلاقة طيّبة سيصبح عدوًّا لئيمًا، وتكون أنت قد تسبّبت بهذه العلاقة.

كما أنّها تؤدي إلى عدم الاستقرار في الحياة الزوجيّة، بل وايجاد الشقاء فيها، تقول الرواية (**سعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله**)[2]. إنّ عدم الأذيّة

---

(١) سورة فصّلت، الآية: ٣٤.

(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٦.

يؤدّي إلى السعادة، بينما الأذيّة في المقابل، سواء صدرت من الزوج أو الزوجة، تؤدّي إلى الشقاء، وإلى إحلال التعاسة وانتفاء العلاقة الزوجيّة السليمة بينهما.

ب ـ على المستوى التربويّ

للأذيّة أثر خطير وخاصّة في حال وجود الأولاد، حيث يرون كيف يؤذي الأبّ الأمّ، والأم كّيف تؤذي الأبّ. سوف يتأذّى الطفل من هذا التعاطي، كما أنّه سيمارس هذا الفعل مع إخوته، وفي مرحلة لاحقة تجاه أسرته وزوجته تحديدًا بل ومجتمعه. إنّ هذا الموضوع له آثار تمتدّ، وهي ليست محدودة بسنة أو سنتين كحدّ أقصى. لا، من الممكن أن يستمرّ هذا الأثر ويتظهّر مع الأجيال.

يعبّر القرآن الكريم عن أثر الكلمة الطيّبة في الآية الكريمة فيقول: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[1] باعتبار أنّ الشخص إذا فعل شيئًا جيّدًا، فإنّ عطاءه سيستمرّ على مدار الأيّام والأزمان، وعكسه صحيح أيضًا، فالعمل السيّء كذلك يبقى، وتتجلّى نتائجه السلبيّة حتّى ولو كان في قبره وفي آخرته.

(١) سورة إبراهيم، الآيتان ٢٤ و٢٥.

ج ـ على المستوى النفسيّ

إنّ الفعل الذي يصدر من الإنسان له جانب نفسيّ سيكولوجيّ، بمعنى أنّ الإنسان إذا مارس أذيّة ما بحقّ آخر، فإنّه قد يحصل لديه مردود نفسيّ، فيشعر بعدم الراحة النفسيّة، باعتبار أنّه قد سبّب ألمًا وأذيّةً لشخص آخر، وهذا الأمر واضح بينما لو كان سببًا لسعادة أحدهم، فينهل هو من هذه السعادة أيضًا، ويستقي نوعًا من الرضا النفسيّ. وتنطبق هذه النظريّة على علاقة الزوجين في الأسرة.

د ـ على المستوى الدينيّ والأخرويّ (في العلاقة مع الله تعالى)

لا يخفى الأثر المتمثّل للأذيّة في علاقة الفرد بالله سبحانه وتعالى، ففعل الأذيّة يؤدّي إلى الإثم. والقرآن الكريم واضح في ذلك ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1] فكيف بالذي يمارس الأذيّة تجاه الزوجة المؤمنة أو الزوج المؤمن. هو يسبّب لنفسه آثامًا، وستبقى آثار الذنوب وسلبيّاتها في الدنيا والآخرة، وفي القبر أيضًا. كما أنّها قد تكون سببًا لمنع قبول الأعمال، فقد يقوم الإنسان في بعض الأحيان بفعل جيّد، ولكن لا يلقى عليه أجرًا، فالله سبحانه وتعالى لا يقبله، ويكون سبب ذلك أذيّة الآخرين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

في رواية عن رسول الله ﷺ يقول: «**من كان له إمرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر...**»[1]؛ هذا أثر أخرويّ قد يؤدّي إلى دخول الفرد النار. ويعاود الرسول الأكرم ﷺ القول، لكن بمضمون مختلف بعض الشيء: (**وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذيا ظالماً**)[2]؛ نفس النتيجة التي تحصدها المرأة إذا آذت زوجها يحصدها الرجل، إذا آذى زوجته.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى خطورة هذا الأمر لأنّ البعض منّا قد لا يلتفت إلى كلمة قالها أو أسلوب من الكلام قد يستعمله، أو يمرّ عليه، لكن عندما يلتفت إلى خطورة أيّ عمل والأمور السلبيّة التي تترتب عليه، فإنّ هذا يدفع كلّ واحد من الزوجين إلى أن يراجع نفسه، ويحسب حسابًا كبيرًا قبل أن يتكلّم أو يقوم بعمل ما.

فلهذا الأمر خطر على المستوى الأخرويّ، فحينما نقول إنّ هذا الأمر يمنع قبول الأعمال حتّى يعالج هذه الأذية؛ فمعناه أنّها تصبح عائقًا ومانعًا، ومهما فعل من أعمال حسنة وجيّدة، مرضية عند الله تعالى، لكن لا تصعد إليه سبحانه وتعالى. فلا

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٦.
(٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٢، الصفحة ١١٨٦.

يكفي أن نقوم بالعمل الجيّد، إنّما علينا أن نرفع الموانع التي من أهمّها أذيّة الزوجة لزوجها أو أذيّة الزوج لزوجته. ومن أجل ذلك يجب أن يفكر أخوتنا وأخواتنا: ليست العبرة بأنني أذهب إلى المسجد وأصلّي وكم أصلّي، بل بكيفيّة تعامل الزوج مع الزوجة والعكس أيضًا، فليكن الهدف هو الله تعالى، من خلال رفع الموانع التي تمنع من قبول الأعمال.

قصّة للعبرة

ذكرنا أنّ الأذيّة والتعامل مع الآخر لها آثار سلبيّة فيما ترتبط بعالم القبر، وذكرت العديد من الروايات الرابط بين التعامل الإنسانيّ، والمعاملة مع الآخر، خاصّة في الموضوع الأسريّ والزوجة، وبين عالم القبر، والانعكاس المباشر لهذا الأمر عليه.

حصلت قصّة في أيّام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المهمّ ذكرها، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **أتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: إنّ سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلمّا أن حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا حذاء ولا رداء، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّة ويسرة السرير مرّة حتّى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى لحده وسوّى اللبن عليه، وجعل**

يقول: ناولوني حجرًا، ناولوني ترابًا رطبًا، يسدّ به ما بين اللبن، فلمّا أن فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبره قال رسول الله ﷺ: إنّي لأعلم أنّه سيبلى ويصل البلى إليه، ولكنّ الله يحبّ عبدًا إذا عمل عملًا أحكمه، فلمّا أن سوى التربة عليه قالت أمّ سعد: يا سعد هنيئًا لك الجنّة، فقال رسول الله ﷺ: يا أمّ سعد مه، لا تجزمي على ربّك فإنّ سعدًا قد أصابته ضمّة، قال: فرجع رسول الله ﷺ ورجع الناس فقالوا له: يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنّك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء، فقال ﷺ: إنّ الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسّيت بها، قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير مرّة، ويسرة السرير مرّة، قال: كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت: إن سعدا قد أصابته ضمة! قال: فقال ﷺ: نعم إنّه كان في خلقه مع أهله سوء[1].

كلّ شيء عند الله سبحانه وتعالى بحسابه، والعدس بترابه، مهما قام الإنسان بأعمال صغرت أم كبرت، فهي إذا عالجها في الدنيا بتوبة ومغفرة فقد نجا، وإذا لم يفعل سيلاقيها في القبر، وهذا شيء مخيف.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ٦، الصفحة ٢٢٠.

خلاصة:

هذا ممّا ذُكر في الآثار السلبيّة للأذيّة في العلاقة الزوجيّة، فالمحور عند الله تعالى هو الإنسان وتكريمه، مهما كان ذكرًا أو أنثى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. فلينظر كلٌّ منّا ماذا يفعل للآخر، وكيف إذا كان هذا الآخر نفسه ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

لباسٌ لهنّ

يعتبر هذا المصطلح من أروع التشبيهات القرآنيّة للحياة الزوجيّة ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1]، ما هو المغزى من هذا التشبيه؟ وكيف نستفيد منه في حياتنا الإجتماعيّة؟

حقيقة هذا التشبيه

إنّ إستعارة اللباس في هذا المورد، على اعتبار أنّ اللباس له عدّة وظائف أساسيّة: أوّلًا الستر، ثانيًا الحماية، وثالثاً، له علاقة بالقُرب، ومن المهمّ استخدام هذا المفهوم في الجانب الإجتماعيّ. فالستر في إطار العلاقة الزوجيّة له عدّة وظائف: منها عدم التّشهير، ثانيًا عدم التعيير، وثالثًا التفكير بحلّ المشاكل داخليًّا ـ ما أمكن ـ لعدم وصولها إلى حيث تظهر العيوب والخصوصيّات على الملأ.

فعندما تكون أنت سترًا لزوجتك، ولباسًا لها، وهي بالمقابل كذلك، يتطلّب منك أن لا تتكلّم على زوجتك، فلا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

يوجد إنسان يخلو من العيوب إلاّ المعصوم. كذلك في العلاقات الزوجيّة، عندما يصبح التماسّ مباشرًا في مختلف الأمور، يتعرّف الزوج والزوجة على عيوب بعضهما البعض. وهنا يجب أن نسأل كيف يجب أن نتعامل مع هذا العيب الذي تمّ إكتشافه؟

كيفيّة التعامل مع عيوب الآخر

هناك أمرٌ من اثنين، إمّا أن يُعمل على التستُّر على هذا العيب، والعمل على معالجته بطريقة صحيحة تُرضي الله سبحانه وتعالى. وإمّا بخِلاف ذلك، يُعمل على التشهير، وهذا له عدّة مستويات فمرة يفضح الرجل زوجته بشكل عام أينما ذهب، وأخرى ضمن نطاق خاصّ أمام أهله مثلًا، أو حتّى أمام بعض الأصحاب الخواصّ. ولكن في حال كان الكلام من أجل أخذ النصح والمشورة فلا مانع منه. أمّا إن كان غير ذلك، فهو نوع من التشهير يخالف (لباس لكم) و(لباس لهنّ) ويعدّ تصرّفًا سلبيًّا.

المرتبة الثانية وهي التعيير، أي أنّه قد لا تذكر الزوجة أو الزوج عيوب الآخر أمام الأهل والأصحاب وغيرهم، بل تذكر هذا الخطأ أمام زوجها، وتسعى لتوبيخه وتقريعه، وهذا أيضًا خلاف اللّبس. أمّا لو تمّ ذلك عن طريق الوعظ الصائب والنصيحة المثمرة، فهو مطلوب ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

أمّا الثالثة، هو عدم التّفكير بالإصلاح، ومساعدة الطّرف الآخر على علاج ما لديه من عيوب. وعليه ألّا يضخّم العيب وأن لا يُشغل باله كثيرًا وبشكلٍ سلبيّ بذلك. مثلًا، رجل ضمن العلاقة الزوجيّة يجد عيبًا عند زوجته، يشغل باله أينما ذهب ممّا يؤدّي إلى تضخيمه، فيسبّب تأزيم هذه العلاقة.

المطلوب أنّ يبقى العيب الصغير على قدر حجمه بل في بعض المواقف يُفترض أن يصغّره. هنا يجب الإلتفات إلى هذه المعادلة، وهي «**إنْ ساءك منها خُلق فسوف يرضيك منها آخر**»، هذا يعني أنّ كلّ شخص لديه صفات حسنة، وأخرى سيّئة، فليلتفت إلى الجانب الإيجابيّ، ويتغاضى عن الآخر. وفي هذا المعنى رواية مهمّة جدًّا عن الإمام عليّ عليه السلام يقول فيها: «**من لم يتغافل ولا يغضّ عن كثير من الأمور تنغّصت عيشته**»[1]، لأنّه لو شغل باله فقط العيب السيّء، لفاق بحجمه ذاك الخلق الطيّب، حتّى يكبر الأمر، فلا يعد يرى سوى ذلك السوء، وهذا غير سليم، لأنّه يؤدّي إلى تنغّص العيشة. وإذا كان التعامل مع الله بلسان «**ولا تذكّرني بخطيئتي**»[2] فكيف بالبشر. فلو طلب الإنسان من ربّه سبحانه وتعالى أن يتعامل معه بهذا الأسلوب، فينبغي أن يتعامل به الزوجان.

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٥، الصفحات ٢٢٨٧-٢٢٨٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ٨٨، الصفحة ٧٨.

عادة الحديث في المجتمع

نحن نواجه في المجتمع هذه المشكلة، وقد تظهر في بعض الأحيان عند المرأة أكثر منها عند الرجل، بل هي أسهل لدى البعض منهنّ، حيث تتحدّث الزوجة عن زوجها مع والدتها ومع الأخوة، ومن الممكن أن تزيد الأخطاء الموجودة فيه وتكبّرها، ويصبح الحديث فقط عن أخطاء الزوج، حتّى يتحوّل لدى البعض إلى نوع من التسلية.

نتائج التحدّث

هذا الأمر الذي ذكر خاطئ اجتماعيًا، لأنّ هذه المجالس يجب أن تعقد من أجل التناصح والتشاور. أمّا أن تصبح فقط للتشكّي والتظلُّم والوصول إلى الغيبة، ففيه الكثير من السلبيّات منها: أنّها قد تصل إلى درجة خرق وهتك اللّباس الذي أكّد عليه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، هذا فيه معصية لله سبحانه وتعالى وآثاره الأخرويّة خطيرة جدًّا. فالغيبة وهتك الستر له نتائج سلبيّة جدًّا من الدنيا إلى القبر حتّى اليوم الآخر. وإذا فكّرت الزوجة بهذه النتائج فسوف تعيد حساباتها.

حتّى على المستوى النفسيّ، عندما يتكلّم الإنسان عن عيب الآخر، فالإستغراق بهذا العيب سوف يؤدّي إلى أن يكبر في النفس ويتضخّم على المستوى السيكولوجيّ، ونتيجته أنّه لو

كان لدى الشخص عشرة إيجابيّات وحسنات، فلا تُرى إلا سيّئاته. وهذا الأمر قد يصبح عقبة على مستوى العلاقة الزوجيّة وعلى إشاعة أجواء المودّة والرحمة بين الزوجين. فالرجل عندما ينظر إلى المرأة على أنّها ممتلئة بالسيّئات، فهذا سوف يعكّر صفو المودّة بينهما، لقد تزوّجها وكان راضيًا بجميع صفاتها وبما خلقها الله سبحانه وتعالى عليه، فإن بان له شيء من عيوبها، فليكن رحيمًا نصوحًا محبًّا مساعدًا لها على إصلاح ما لديها من عيوب.

لا ينبغي أن يكون الرجل معيّرًا للمرأة وينبغي أن لا يُدينها لا على المستوى الخُلقي، ولا على المستوى الخَلقي. إنّما عليه أن يكون رحمة لها، و يلتفت دائمًا أنّه عندما تُذكر العيوب، يتمّ خرق وهتك هذا اللباس الذي وضعه الله سبحانه وتعالى، ويؤدّي إلى انتقاص الرحمة الموجودة بين الزوجين. وقوله تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1]، منشؤه الرحمة وهدفه تغذية الرحمة. ونحن نلاحظ مثلًا: إذا كان لدى الأهل ولد يحبّونه، وكان في هذا الولد عيب من العيوب، فأنت تجد أنّهم يتستّرون عليه ولا يفضحونه، وعندما يكون هناك مجالس على مستوى أفراد العائلة، لا يتكلّمون إلا بما هو خير، فيمدحونه في جوانب أخرى. وهذا تعبير عن الرحمة والمحبّة اتجاه هذا الولد.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

فوائد التستّر

لقد أراد الله تعالى للزوجين أن يتعاملا بمبدأ الستر، لأنّه تعبير عن الرحمة التي تؤدي إلى إشاعة أجواء الألفة والمحبّة بينهما. وإذا تحدّثت المرأة في المجالس الصباحيّة عن أخطاء الزوج، فهذا يَقضم من أسس العلاقة الموجودة بينهما، والعكس صحيح.

كما أنّ للتستّر أثرًا تربويًّا، يساعد على التخلّص من هذا العيب أو ذاك، ويهيّيء البيئة التي تساعد على ذلك. وقد تكون مسألة التستّر فطريّة وغريزيّة عند الأهل تجاه أولادهم وإخوتهم. بينما مع الزوج، يتطلّب هذا العمل أن تخالف المرأة نفسها، وهنا يكمن «**جهاد المرأة حُسن التبعّل**»[1] لأنّه يتطلّب جهدًا من قبل المرأة، وتعبير الجهاد يعني بذل الجهد والمشقّة ومواجهة الصعوبات. وبالتالي، هي تعامله بأسباب الرحمة لإيجاد سبيل للإصلاح والتغيير في نفسه، فتكون النتائج التي تصل إليها أفضل على المستوى الدنيويّ والأخرويّ.

وفي نهاية الكلام، لقد خلق الله الأزواج من نفس واحدة، وأراد للزوجين أن يجتمعا على حبّه ورضاه ورحمته، وجعلهما لباسًا لبعضهما أي سترًا، فليحافظ كلٌّ على ستره الخاص، حتّى لا تفضحه عيوبه بين الآخرين .

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء ١٠٠، الصفحة ٢٤٥.

المشاكل في الحياة الزوجيّة

هل المشاكل الزوجيّة كالملح في الطعام كما في التعابير الشعبيّة، والحياة دون مشاكل لا طعم لها؟ وهل هي أمر حتميّ؟

في الواقع، إنّ اختلاف الطبائع بين الزوجين قد يوجد حتمًا بعض المشاكل أو النزاعات، صغيرة أم كبيرة، وهي ليست كالملح في الطعام، كما يعبّر عنها البعض، للتقليل من أهميّتها.

إنّ محاولة تجميلها أو تلطيفها من حين لآخر ليس صحيحًا، فيجب أن ندرك أنّ المشاكل لها حقيقةً سلبيّاتها، والوعي بها من الممكن أن يدفعنا أكثر لنعمل بهمّة أكبر لتجاوزها وعلاجها. كما أنّ إدراك تلك المشاكل وسلبيّاتها على حقيقتها والوعي لها، يدفعنا أكثر إلى أن نعمل بهمّة لتجاوزها وعلاجها. وقد يقال إنّ علينا استصغار المشكلة أو التغافل عنها، وأنّ التدقيق والتحليل والتفسير يعظّمها، وهو يحتاج إلى كلام.

إنّ الوعي تجاه المشكلة، مخاطرها، أسبابها وعلاجها، والسلبيّات التي تترتّب عليها؛ يشكّل أكبر رادع لتركها والابتعاد

عنها، إذ إنّ أفضل وصفة لعلاج المشكلة أن لا تحصل من الأساس. وفي حال حصولها ـ لا سمح الله ـ نعرف كيف نتعاطى مع الأمور، من غير أن نؤجّجها ونزيد من حدّتها، من خلال فرضيّات سلبيّة للحل. إنّ المطلوب بشكل أوليّ أن يكون لدينا نوع من الوعي والثقافة التي تمنع حصول المشكلة، لا أن نسمّيها بالملح، فهو سمّ الطعام وخاصّة إذا كثر، فسلبيّاته تزداد يومًا بعد يوم.

كيفيّة حلّ المشكلة عندما تقع

يطرح البعض هذا السؤال: ماذا نفعل تجاه المشكلة؟ هل نسكت أم نصبر أم ماذا؟

البعض يعتقد أنّ السكوت نوع من أنواع الصبر وهو إيجابيّ، فتجربة الحياة العمليّة تعلّم المرء الصبر وطول البال، والصفح. فكثير من التفاصيل قد يكون هناك إمكانية لتجاوزها والتغافل عنها. وهناك بعض القضايا تحتاج إلى نوع من العتب والنصح والوعظ، وهذا له علاقة بالأسلوب الذي نستخدمه، فهناك أساليب من الممكن أن تعقّد المشكلة، والأسلوب الصحيح يعالج المشكلة الكبيرة مهما كانت، أمّا الخاطىء فيعقّد المشكلة مهما كانت صغيرة. من أجل ذلك، علينا أن نسعى من أجل استخدام الأسلوب السليم الذي يعالج هذه المشكلة.

أمّا في موضوع السكوت، فهناك فرق بين نوعين منه؛ مرّة يكون من باب أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يصبر الإنسان ويعالج الأمور بالصبر، فيتحمّل ويصفح ويسامح الآخر، وبهذا يكون قد تجاوز المشكلة من دون أن يترتّب نتائج سلبيّة على نفسه، فلا يحقد أو يربّي كرهاً في نفسه، ينفجر في لحظة من اللحظات.

وقد يكون مطلوبًا منه أن يتعاطى في هذا الجانب بالمكاشفة، يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لو تكاشفتم لما تدافنتم**»[1]، عليه أن يعاتب، ولكن بأسلوب جميل وسلس يعبّر عن المودّة والرحمة، يبادر تجاه الآخر ينصحه في الأمر الذي حصل بينهما وضايقه وآذاه، ويجب على الآخر أن يستمع له بإصغاء واهتمام، يعبّر عن عاطفته تجاهه من خلال الاصغاء له، فلا يقاطعه، ويتعاطف معه، ويشعر معه، ولا يترك البعد الأنانيّ والشخصيّ يتغلّب عليه.

وقد تحصل في مجتمعاتنا مشكلة بسبب هذه المكاشفة، فيعلو الصوت ولا يضبط الإنسان نفسه. إنّ ذلك له علاقة بالأسلوب الذي يتعاطى فيه الزوجان وليس أصل المكاشفة، فأصولها أن تنسجم مع الوعظ والنصح والعتاب الذي يعبّر عن نوع من المحبّة. كما أنّ له علاقة بكمّ المكاشفة، فليس عند كلّ صغيرة

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الجزء ١، الصفحة ٥٨.

وكبيرة نعقد اجتماعًا طارئًا، فنكثر فيه اللوم والعتاب، فعن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**ولا تكثر العتاب فإنّه يورث الضغينة**»[1]، كما أن: كثرة العتاب من سقم المودة. فكثرة الكلام في الصغائر والسلبيّات تؤدّي إلى إسقام المودّة وإمراضها. المكاشفة والمصارحة مطلوبة ولكن بقدر وعند الأمور الضروريّة جدًّا.

الأمر الثاني علينا أن نمسك غضبنا، وأفترض أنّ هذه هي ثقافة الوقاية من المشكلة. فإذا لم تنفع وبدأت المشكلة، نحاول أن ندفنها في بدايتها، لأنّها كلّما كبرت كلّما كان علاجها أصعب وسلبيّاتها أكثر. هناك سلبيّات في أماكن، قد لا يكون من السهل أن نتجاوزها أو نتغلّب عليها. كما في موضوع الغضب، علينا أن نحاول قدر المستطاع معالجته، وفي الأدبيّات الدينيّة والروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام تأكيد على أنّ الغضب مثل النار متى ما أشتعلت أصبح من الصعب إطفاؤها، والغضب هو الذي يجعل الشيطان يدخل بين الزوجين، فهو جمرة إبليس، وإذا دخل إبليس من باب الغضب، يصبح من الصعب السيطرة على هذه المشكلة. وهناك نصائح للسيطرة على الغضب مثال إذا كان واقفًا يجلس، وإذا كان جالسًا يقف، يذهب ويتوضّأ، ويُذكر الله ويعمل الحلم إلى ما هنالك.

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

وهنا نصيحة قد تكون مفيدة ومهمّة، يقول أحدهم لم تتطوّر المشكلة بيني وبين زوجتي على مدار أعوام. ماذا كان يفعل؟ قال: كنت عندما أشعر أنّه بدأت نار الغضب تشتعل في صدري، كنت أخرج من المنزل إلى الحديقة ربع ساعة أو ثلث ساعة. ربّما في المدن لا يوجد حدائق، اذهب إلى المسجد توضّأ وصلِّ ركعتين، ادخل إلى غرفتك صلِّ واقرأ دعاء.

ومن أهمّ علاجات الغضب أن يتذكّر الإنسان غضب الله سبحانه وتعالى عليه، فعن رسول الله ﷺ: «**الغضب جمرة من الشيطان**»[1]، وعن الإمام علي عليه السلام: «**الغضب نار القلوب**»[2]. وعندها يذهب إلى الصلاة أو قراءة القرآن والدعاء، فيجعل من صبره ماءً يطفئ تلك الجمرة، وخصوصًا في حال قراءة الدعاء الذي يذكّره بضعفه وحاجته إلى رحمة الله وعفوه وحلمه وصفحه فيعالج الغضب بإزالته من جذوره، ولا يبقيه كالنار تحت الرماد كي ينفجر في أيّة لحظة. يجب النظر والالتفات إلى هذا الموضوع.

الأمر الثالث، عليه أن يبني ثقافة علاقة زوجيّة صحيحة.

---

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٥، الصفحتان ٢٢٦٤ ـ ٢٢٦٥.

(٢) المصدر نفسهن الصفحة ٢٢٦٥.

والرابع وهو الأساس، أن يعالج قدر الإمكان أناه، أن يطرد الفرعون الكامن فيه، التكبّر والغرور والعجب، ويخلي قلبه لله تعالى، فتبقى نفسه صافية، وقلبه طاهرًا بالإيمان الحقيقيّ ونكران الذات، عندها لن يجد الشيطان أرضيّة خصبة للمشاكل ليعمل عليها.

إنّ أغلب المشاكل سببها نابع من الأنا، فعندما يغلبها المرض تتضخّم، وتشكّل أرضيّة خصبة لولادة المشاكل. فعندها تقول المرأة كرامتي ومكانتي، وهو يقول كذلك. وأحيانًا تلبس الأمراض الموجودة في القلب هذا اللبوس من أجل أن تبرّر التعاطي الخاطىء الذي يصدر.

إنّه لا بدّ من الالتفات إلى شيء مهمّ في العلاقة الزوجيّة وخاصّة في المشاكل، وهو العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، ولنتائج هذه الأمور على المستوى الأخرويّ. وإذا كان همّ الزوج أو الزوجة هو القرب من الله سبحانه وتعالى، وفي اعتقادهم أنّ مركب العلاقة الزوجيّة هو وسيلة لهذا القرب، فهو ما سيدفع أيًّا من الزوجين أو كليهما ليحسّن علاقته مع الآخر إلى أبعد الحدود، لأنّ هدف القرب من الله تعالى يولّد إرادة غير عادية لتحسين هذه العلاقة، وعلاج المشاكل قبل ولادتها.

تدخّل الآخرين

هذا الموضوع مطروح في القرآن الكريم على أساس حكم من أهله وحكم من أهلها، وهذا الأمر بحدّ ذاته أمرًا ايجابيًّا، يجب أن يثمر نتائج في الاصلاح إن أرادا ذلك.

في المبدأ يجب أن يكون لدى الزوجين الوعي الكافي والثقافة الزوجيّة التي تمكّنهم من عدم حصول المشاكل، أو إطفائها في بدايتها إن حصلت. وإذا كبرت قليلًا يعالجونها بالهدوء والأسلوب الصحيح، ويحاولون قدر المستطاع أن لا يتدخّل أحد من الخارج، لأنّ العديد من التجارب أثبتت أنّه في هذه الحالة قد تكبر المشكلة فيصطف العسكر ونصبح بين جبهتين، بعدها يكثر المناصرون، فتكبر المشكلة أكثر ويصبح هناك جبهات مفتوحة.

لقد قدّم القرآن الكريم العلاج لهذا الموضوع فيما يرتبط بالأزواج، في حال وصلوا إلى مرحلة عجزوا عن علاج مشكلتهم. وفي العديد من الحالات يتوهّم الزوجان أنّهما عاجزان عن علاج مشكلتهم. سأفترض أنّهم وصلوا إلى مرحلة تشنّجت فيها الأجواء وتوتّرت النفوس، وأصبحت بعض القلوب فيها ما فيها من كره ونفور، ودعت الحاجة إلى معونة خارجيّة. هنا يقول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ

وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[1]، الحكم هو ذاك الإنسان الواعي العاقل الذي يمكنه أن يستوعب الأمور والمشاكل وأسبابها وكيفيّة علاجها. قد يكون الوالد، الأخ، العمّ أو الخال، المهمّ أنّه الإنسان الواعي والعادل الذي يضبط انفعالاته.

كما وشرط القرآن الكريم أن يكون الحكمان، من أهله ومن أهلها، لسبب بسيط جدًّا، أنّ كلًّا منهما يعرف شخصيّة قريبه، ايجابيّاته وسلبيّاته، فيعرف كيف يتعاطى معه، فيقدّمون النصح للطرفين، ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[2]. وفعلًا إذا وُجدت الإرادة المخلصة للإصلاح ولعلاج المشكلة، يساعدهم الله تعالى ويوفق بينهما. وإذا لم يحصل، فالسبب يعود إمّا أنّ الاثنين ليس لديهما إرادة حقيقيّة أو أن أحدهم لا يريد أن تُعالج المشكلة.

فشطر من العلاج موجود عند هذين الحكمين، والشطر الثاني موجود عند الزوجين؛ لأنّ العديد من الحالات عندما تلجأ هي إلى فلان أو فلان حتّى تنتصر به على زوجها، وهو عندما يلجأ كي ينتصر بفلان على زوجته. وهذا لا يعبّر عن إرادة مخلصة لعلاج المشكلة. والإرادة المخلصة لعلاج المشكلة هي

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

أن يستمع كلّ واحد إلى الآخر دون أن تغلب أنانيّته، فيلتفت كلّ شخص إلى ثغراته وسلبيّاته هو، والأخطاء التي يسبّبها، ولا يكون انشغاله وتركيزه ماذا يفعل الآخر، بل كيف أعالج مشكلتي والأمراض الموجودة في هذا القلب وفي هذه الأنا.

إنّ إرادة الصلاح والإصلاح لا تعني أنّ هناك شيئًا معطّلًا نريد إصلاحه. إنّ إرادة الصلح والحلّ تحتاج إلى مقدّمات، وإلى عزم الإنسان على الاستمرار في حياته الزوجيّة، لا أن يسجّل أنّ فلانًا كان غالبًا لا مغلوبًا. إنّ العطل الذي يجب إصلاحه هو في القلب المليء بمرض التكبّر والعجب بالنفس والغرور والاستخفاف بالآخر.

والنقطة الأساسيّة والمركزيّة هي الالتفات إلى أنّ زوجتك أمانة من الله سبحانه وتعالى في عنقك، وأنّه تعالى يختبركِ بهذه العلاقة. وأنّ الجنّة إذا أردتِ الوصول إليها، فأنت تصلين إليها من خلال علاقتكِ بزوجك. وإذا لم يسكن هذا القلب حبّ الله والسعي إلى القرب منه تعالى، لن يكون هناك إرادة مخلصة للإصلاح، أوعلاج لما هو موجود فيه، وإذا ما فسد القلب، فإنّ المشاكل يصعب حلّها.

❊ ❊ ❊

(١)

العفو والصفح في العلاقة الزوجيّة

قبل البدء بالكلام، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ العلاقة الزوجيّة كأيّة علاقة قائمة بين طرفين، قد يحصل بينهما أخطاء، إن من الزوجة تجاه الزوج، أو العكس من الزوج تجاه الزوجة. كما من الممكن أيضًا أن يجد أحدهما في الثاني بعض الصفات التي لا يستأنس بها ولا يرتاح إليها. لذا، نحن بحاجة ماسّة إلى الأخلاق واللطف، وما يرتبط بالعفو والصفح والتسامح والمداراة، وكلّ ما يرتبط بهذا الجانب من أخلاق وأسلوب في التعاطي. فلا يقف كثيرًا أيّ شخص عند أيّ خطأ ويؤسّس عليه قضيّة كبيرة تترتّب عليها نتائج كثيرة، أو أن تصل الأمور إلى الطلاق كما يحصل في كثير من الحالات، حيث نجد أنّ السبب ـ إذا دقّقنا فيه ـ صغير وتافه.

ومن أهمّ الأسباب التي ينشأ بسببها الخلاف هو فقدان أخلاقيّات الصفح والعفو والمداراة التي تعتبر عماد الإيجابيّات

في وأد المشكلة في مهدها وعدم توسعتها. فما هو المعيار لذلك؟ وهل يعتبر التسامح تنازلًا في جميع الحالات الزوجيّة؟ وهل يعدّ ضعفًا؟ أم عدم قدرة على نيل الحقّ؟

إنّ البعض يعمد إلى تعظيم المشكلة، ظنًّا منه أنّ ذلك يؤدّي إلى عدم تكرارها. وهذا المنطق غير سليم، لأنّ بعض الهفوات لا تحتاج إلى التضخيم وعظيم الاستنكار، فبعضٌ من الأخلاق الحسنة، وقليلٌ من العفو والصفح والتسامح تسهل الحياة. وأعتقد أنّ في معظم الأماكن، ونتيجة عدم المعرفة بأهميّة هذا الجانب من التعاطي والنتائج التي تترتّب عليه وايجابيّاته؛ فإنّ الناس تهمل هذا الجانب المهمّ جدًّا من أخلاقيّات التعامل.

حقيقة التسامح

تفاوتت الآراء والاستصراحات، فبعضٌ اعتبر التسامح ضعفًا وعدم قدرة على المطالبة بالحقوق، والبعض الآخر وجد في التسامح سبيلًا لاستمرار الحياة الزوجيّة والحبّ.

هناك أمران يجب الالتفات إليهما، منهم مَن يستصغر الخطأ الذي يصدر منه، ويستعظم الخطأ الذي يصدر من الآخر، وأنا بتقديري هذا دليل حالة مرضيّة ولا يدلّ على وضع سليم. عليه أن يتحلّى بالقليل من الإنصاف تجاه الآخرين، فيستفيد من

أخلاق العفو والتسامح، وهو المطلوب إسلاميًّا، يقف كثيرًا عند خطئه، ويحاول قدر الإمكان نسيان ما يفعله الآخرون، وليس العكس، كما هو سائد في المجتمع.

الأمر الثاني هو محاولة البعض تبرير طريقة تعاطيه الخاطئ مع الغير ببعض المفاهيم مثل موضوع الكرامة، وغير ذلك. الحقيقة هو نوع من الغرور والعجب وقد يكون تكبّرًا، فإذا صدر من الآخر شيئًا يعتبره مسًّا بكرامته، ليمارس بحقّه ما يحلو له من إنفعال وغضب وحميّة.

حدّ التسامح

لا يوجد حدّ له، فهو الذي يُعتمَد في أغلب الأمور والموارد، وهو القاعدة والأساس في الحياة الزوجيّة، إلّا في بعض الحالات حيث يعطي نتائجًا عكسيّة، بمعنى أنّ الشخص يفهم الأمور على عكس ما هو مقصود منها، وتكون النتيجة سلبيّة. وفي هذه الحالات يفترض وضع أساليب علاجيّة مختلفة غير الوعظ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك من قبيل الهجر وغيره.

خصوصيّة التسامح بين الزوجين

إنّ أصل العلاقة بين الزوجين لها خصوصيّة تلحظ في النصوص الإسلاميّة التي حثّت على تشجيع الزواج. كذا فيما

يخصّ العفو والتسامح والصفح والمداراة، إذ تعتبر الساحة الزوجيّة من أهمّ مصاديقه، ولا يوجد مبالغة في ذلك لما لهذه الأخلاق من نتائج إيجابيّة.

نقل لي أحد الأشخاص قصّة حدثت مع صديقٍ له كان لديه طبع سيّء، وفي إحدى المرّات ثار وأغلظ في الكلام لزوجته، ونال من أهلها. وهي في هذه الأثناء، تركته حتى أفرغ ما بجعبته من غيظ وكلام. وعندما انتهى قالت له: هل انتهيت؟ قال: نعم. فاحضرت له القهوة وقالت له: تعالَ كي نجلس، أنت يا فلان نلت من أهلي، وأنا سوف أقول لك كلمتين: عندما تزوجتني، صار أهلي أهلك، وإذا رضيت أن تنال من أهلي فأنت بذلك تنال من أهلك، وأنا لا أرضاها لك. اختجل من نفسه، وذهب إلى الخارج وبكى، ومنذ ذلك الوقت لم يعدها.

إنّ حجم ضبط النفس عند هذه الزوجة، وأسلوبها في بثّ العفو المشفوع بنوع من النصيحة والوعظ، وليس بالجدل والنكد والكيد، كلّ ذلك أدّى إلى علاج الموقف بالحكمة، ووصلت إلى ما تصبو إليه، بينما لو سمحت لنفسها بأن تنجّر إلى الخطأ، لما أدّى كلامها إلى الإصلاح.

كذلك، فإنّ العفو يسكت الضغينة التي تعزّز الكره بين

الزوجين. وإذا انتظر كلّ واحد منهما خطأ الآخر ليبيّنه له، فهذا دليل على أنّ ما بينهما ليس حبًّا. ومن يتحمّل الآخر أكثر، يحمل في قلبه حبًّا أكثر. وعندما يحصل تجاوز وعفو وتسامح بين الزوجين، سيؤدّي ذلك إلى التقريب بينهما على قاعدة المودّة والمحبّة والرحمة.

قصّة للعبرة

في أيّام حكم الإمام عليّ عليه السلام للدولة الإسلاميّة، في تلك الفترة، وفي إحدى المرّات، كان الإمام عليه السلام مارًّا في أحد أزقّة الكوفة عند الظهر، فوجد امرأة تقف على جانب الطريق، ويظهر أنّها لم تكن على ما يرام. سألها الإمام عليه السلام: ما بك يا أمة الله؟ فتقول له: تلاسنت أنا وزوجي وطردني من المنزل، وقال لي إذا عدت سوف أفعل كذا وكذا. قالت يا أمير المؤمنين عليه السلام: أريدك أن تساعدني. فقال لها: الآن وقت القيظ، فلننتظر قليلًا. فقالت له: لا، إذا تأخّرت لا أعرف ماذا يفعل بي. فذهب معها حتّى وصلا إلى منزل زوجها. طرق الباب، فخرج الزوج غاضبًا. قال له الإمام عليه السلام: هذه زوجتك وحاول أن يصلح الموقف، لم يقبل. وهذا الرجل لم يكن يعرف أنّ الذي يحاوره هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وبينما كان يتجادل مع الإمام عليه السلام بطريقة غير مناسبة، سمع الناس الصوت، فاجتمعوا عند أمير المؤمنين عليه السلام. حينها التفت الزوج إلى أنّ من يحدّثه

هو الإمام عليّ عليه السلام، راجع نفسه، وقال: يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي. عندها قال الإمام عليه السلام: نعم، ويلتفت إلى الزوجة ويقول لها: لا تلجئي زوجك إلى مثل هذا، أي أنت لا تضطريه إلى أن تصل الأمور إلى طردك من المنزل[1]. أنا أذكر هذه الرواية على نحو المضمون، فقط لذكر الشاهد، وهو ضرورة تحقيق العفو من الزوج بالنسبة إلى زوجته.

❊ ❊ ❊

(١) الشهيد مطهّري، قصص الأبرار، بيروت، دار المحجّة البيضاء، الصفحتان ٢٠٩ و٢١٠.

(٢)

العفو والصفح في العلاقة الزوجيّة

بعد أن أوردنا في القسم السابق حقيقة التسامح وحدّه، وخصوصيّته بين الزوجين. ما هي آثار هذا التسامح، وما هي موانع العفو والصفح؟

آثار التسامح

أمّا فيما يتعلّق بأسلوب التعاطي السمح، ففيه العديد من الدلالات والايجابيّات التي تترتّب عليه.

أوّلًا هو دليل قرب من الله سبحانه وتعالى، وميزان هذا القرب وعدمه نجده في العلاقة الزوجيّة. فبمقدار ما يكون لدى الإنسان تسامحًا وعفوًا وصفحًا، بمقدار ما يتحقّق ذلك القرب؛ كما ورد عن رسول الله ﷺ: (**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**)[١].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، الجزء ٢٠، الصفحة ١٧١.

ثانيًا، ينال المتسامح والعفوّ عفو الله سبحانه وتعالى. والعديد من الروايات تقوم على معادلة (**ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء**)[1]، و (**من أقال مسلمًا عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة**)[2]. وهذه المعادلة تصحّ في العلاقة الزوجيّة، فالذي يعفو عن زوجته، وتعفو عنه، أو هي تسامحه وهو يسامحها، وبعبارة أخرى يتبادلان أخلاق العفو والصفح ـ مع الاعتبار أنّ الزوج له القواميّة وهو المسؤول عن الأسرة. فالذي يمارس هذا العفو، يفوز بعفو الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

ثالثًا، ينال أجرًا عظيمًا عند الله سبحانه وتعالى، حيث جاء في الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[3]، فهو تعالى يرفع مكانته يوم القيامة، ويكون أجره منه تعالى مباشرة. فممارسة العفو تحتاج إلى إنسان قويّ يهزم غضبه وشيطانه.

وهنا يقع الإشكال في المجتمع في تحديد مفهوم القويّ، فهم يعتبرون ذاك الذي يطلق العنان لغضبه وغيظه وينتقم أنّه هو القويّ. على العكس، هذا دليل ضعف، فلو كان قويًّا كما يدّعي، لهزم هذا الغضب، وسيطر عليه في كلّ المواقف. ونحن

(١) الرسائل السعديّة، العلّامة الحلّي، الصفحة ١٤٣.
(٢) صحيح ابن حيّان، ابن حيّان، الجزء ١١، الصفحة ٤٠٥.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

نلاحظهم عندما تنتهي نوبة الغضب والغيظ، يعيدون حساباتهم، فيندمون، هذا إن كانوا يلتفتون أصلًا.

من هنا كان أجره كبيرًا، لأنّه يصارع نفسه ويتبع ما يريده الله عند غضبه، وفي الرواية عن الرسول ﷺ: (**إذا أوقف العباد نادى منادٍ: ليقم من أجره على الله وليدخل الجنّة، قيل: من ذا أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس**)[1]؛ بمعنى أنّ من اشتعلت نار الغضب فأخمدها، كان أجره على الله تعالى. ثمّ يكمل رسول الله ﷺ: (**ألم تسمع قول الله سبحانه وتعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله**)[2]، هذه أيضًا من النتائج المترتّبة على ممارسة العفو.

هذا جزءٌ يسير من آثار العفو والصفح. ونجد أنّ الأشخاص في العديد من الحالات يلجأون إلى «الكتب» لحلّ مشاكلهم، بتقديري هذا ناتج عن جهل أو عدم دراية في علاج هذه المشاكل. والمسألة بسيطة، وحلّها مستقى من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

ورد عن رسول الله ﷺ، عندما كان ينصح أحدهم، وقد بثّ شكواه عن معاناته من فلان وفلان؛ (**اعفُ عنهم تستصلح به**

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٣، الصفحة ٢٠١٢.

(٢) المصدر نفسه.

قلوبهم)[1]. ففي مجمل الحالات، يحصل الخطأ نتيجة عدم معرفة وإدراك الشخص لسلبيّة أمورٍ ما كبيرةً كانت أو صغيرة، عميقة أو سطحيّة، وبطريقة تعاطٍ خاطئ يعقّد الأمر ويترك أثرًا سلبيًّا في نفسه وقلبه. وبالتالي سوف يميل إلى العناد، ويمارس نوعًا من الإصرار، أو ربّما الانتقام، أو تصدر منه ردّة فعل سلبيّة في بعض الحالات، وتكون أنت من خلال تعاطيك الخاطئ تدفعه لممارسة الخطأ أيضًا ليصرّ عليه. في المقابل، إذا أنت عفيت عنه، ربّما يستحي بينه وبين نفسه، فيخجل ويعيد حساباته، فلا يعود إلى الخطأ ويقلع عن ممارسته.

ويؤكّد القرآن الكريم على ذلك ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾[2]، ويشير إلى نوع من الربط بين العفو والاصلاح. ومَن أراد أن يصلح الآخر، زوجًا كان أم زوجة، عليه أن يمارس العفو. وفي بعض الأحيان، قد يحتاج إلى العتب والنصح، مع شيءٍ من البيان لسلبيّات ومخاطر التصرّف الذي قام به، وبعض من العتاب المحمود، يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لو تكاشفتم لما تدافنتم**»[3]. فبدل أن تحمل الزوجة كلام زوجها في قلبها مرّة بعد مرّة لينفجر في لحظة ما، من الجيّد أن تعاتبه، وتجمل في

(١) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، الجزء ٣، الصفحة ٢٠١٥.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(٣) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الجزء ١، الصفحة ٥٨.

العتاب، فهو صابون القلوب، كما تعبّر الأمثال الشعبيّة، وهو من الأساليب المفيدة والمهمّة في إيصال الفكرة.

بالإضافة إلى الآثار الإجتماعيّة التي يتركها العفو والتسامح من مودّة بين الناس، وخصوصًا في العلاقة بين الزوجين، فيقفل الباب على المشاكل، ويعطّل أجواء النكد، ويقفل الباب على استمرار نيران الغضب، الذي يشعل البغض والكره بين الزوجين.

ولا يخفى الجانب التربويّ الذي يتركه العفو والصفح على مستوى الأسرة، وتقديم القدوة والمثال الجميل والحسن للأولاد، إذا وجدوا في آبائهم هذا النوع من التعاطي بين بعضهما، فيتعلّموه ويمارسوه مع بعضهم وفي حياتهم الزوجيّة المستقبليّة، بالإضافة إلى الراحة والإطمئنان النفسيّ الذي يسود جوّ العائلة ككلّ.

موانع العفو والصفح

من أهمّ هذه الموانع عدم المعرفة والجهل بأهميّتهما، ممّا يجعل تعاطي الناس مع هذا الأمر بشيء من الاستخفاف أو عدم الاهتمام. ويوجد أيضًا أسباب أخرى، منها ضعف الجانب الإيمانّي عند المرء، بحيث أنّه حتّى لو أدرك بعض الإيجابيّات والنتائج الجيّدة والطيّبة التي تترتّب عليه، لا يستطيع أن يلتفت

كثيرًا إلى الأثر الأخرويّ الكامن فيه، وبالتالي، لا يندفع كثيرًا إليه. كما يشكّل افتقاد أخلاقيّة الصفح والعفو وعدم وجود هذه الثقافة، عاملًا مانعًا إضافيًّا. وزيادة على ذلك، يلعب العامل النفسيّ و«الأنا» دورًا سلبيًّا في هذا الموضوع، فاستعظام العفو عند البعض قد يدفعه للإبتعاد عنه. كذلك العُجب والكِبر أو استكثار العفو، فيشعر أنّه دائمًا يقدّم ويصفح وهذا سيؤدّي ـ بنظره ـ إلى استصغار الناس له.

هل يمكن للعفو أن يجعل الطرف الآخر يتمادى وينال من كرامة المتسامح؟

لا يجب أن يحصل هذا الأمر، وإذا تصرّف المرء بشكل صحيح، فقد أرضى ربّه، وأعطى الآخر فرصة، وساعده على نفسه، حتّى لولم يجد نتيجة عمليّة أو أنّه يرى نتيجة سيّئة. وما يحصل في المجتمعات اليوم من قبيل استمرار المشكلة بين أخت الزوج والزوجة، والتي كانت قائمة قبل الزواج ـ كما في مفروض السؤال ـ فتعمد إلى عدم التواصل مع أخيها وأولاده بسبب زوجته مثلًا هو نتيجة ضعف أخلاقيّات العفو والتسامح، وقد تكون أمراض القلب هي أشدّ فتكًا من أمراض الجسد، فهو يربّي حقدًا وكرهًا يأكل كلّ خير في نفس الإنسان، وعندها يصبح العلاج أمرًا عصيبًا.

مثل هذه الأمور موجودة، ولكن نحن لا نلتفت إلى نتائجها السلبيّة. على الزوجة أن تسعى لتقريب المسافات بين زوجها وأهله، لأنّ ذلك سوف ينعكس على علاقتها بزوجها، وهو سوف يقدّرها ويحترمها أكثر، فتتجنّب بأسلوبها مشاكل سلبيّة أخرى سوف تحدث وتقفل الباب عليها. وعليها أن لا تشعر بالغبن، بل بالفخر لأنّها تقفل الباب على دخول الشيطان وسوء الظن، إذ إنّها قطعت بعفوها عليه الطريق.

ثانيًا قد يتسلّل الشيطان من خلال الأنا، أين كرامتي وأين مكانتي؟ وفي بعض الأحيان يصبح هذا تعبير ملطّف عن نوع من العجب الذي يريد أن يزرعه فينا الشيطان، أو نوع من الكبر يسوقنا إليه. فمَن تمارس العفو هي الرابحة وليست المغبونة على جميع المستويات.

كلمة أخيرة

إنّ للعفو ثمار دنيويّة وأخرويّة، فلا يتوهمنّ أحد أن عليه أن يعفو ثمّ يترك العفو، لأنّه انتهى من واجبه وكفى. بل عليه أن يحافظ بكلّ ما لديه حتّى تبقى نفسه طاهرة، فلا يحرق عمله بكلمة. كما عليه أن لا يلتفت أصلًا إلى هذه الآثار الدنيويّة وإلى الهدف منها، بل يفرغ قلبه لله فقط، وينظّفه. فالعفو هو طريق الحبّ الإلهيّ، وقد رسم الله في القرآن الكريم بآياته خريطة

الوصول، فقال أوّلًا ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[1] ثانيًا ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[2] بعد ذلك ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] فإذا عفوت أحسنت، وإذا أحسنت أحبّك الله، وإذا أحبّك الله رضي عنك، فعاملك بحبّه، وأدهشك بعطائه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

خاتمة

سوف أقتصر فيها على تقديم مجموعة من التوصيات:

١ ـ إعادة النظر في المنهج المعتمد لقراءة الموضوعات التي ترتبط بالحياة الأسريّة وثقافة العلاقة الزوجيّة من خلال النصّ الدينيّ، كذلك اللغة والأسلوب وغيره.

٢ ـ بناء الرؤية الإسلاميّة الأصيلة، التي تؤسّس لكلّ الموضوعات ذات الصلة في الخطاب والمنهاج التعليميّ وغير ذلك، واعتماد التأصيل بدل التطعيم والتوصيل.

٣ ـ العمل الدؤوب على تطوير الخطاب الدينيّ الإسلاميّ في موضوع الحياة الأسريّة والعلاقة الزوجيّة.

٤ ـ التركيز على البُعد الأخلاقيّ والمعنويّ والتزكية كمحور أساس، لأنّ هذا هو حقيقة الدين وأولى اهتماماته من جهة، ولعلاج الإختلالات التي حصلت على مدى عقود نتيجة إهمال هذا الجانب من جهة أخرى.

٥ ـ عدم التباطؤ أو التأخير في علاج أي نقص أو خلل في الرؤية أو الخطاب أو المنهاج التعليميّ... ، لأنّ ذلك سوف يزيد من حدة المشاكل وحجم الإختلالات القائمة.

٦ ـ إنشاء معاهد متخصّصة في الحياة الأسريّة وثقافة العلاقة الزوجيّة، تعنى بالمرأة الزوجة والأمّ والمدبّرة وجميع ما يتّصل بحاجاتها الثقافيّة والتربويّة.

٧ ـ ليس من الصحيح لهذه المعاهد الناشئة أن تمارس الاستنساخ اللاواعي للمناهج التعليميّة للحوزات الذكوريّة، أو أن نقتصر على عمليّة (تطعيم) محدود لها.

٨ ـ من الأهميّة بمكان للحوزات النسائيّة القائمة أن تعيد النظر في مناهجها التعليميّة بناءً على ما أشرنا من رؤية وأن لا يغلب عليها التقليد للآخر أو الإجترار في المنهاج.

٩ ـ كذلك الأمر فيما يرتبط بمعاهد الدراسات الإسلاميّة النسويّة ومسؤوليّتها في إعادة بناء مناهجها التعليميّة بشكل أصيل وواعٍ، خصوصًا أنّها تستطيع أن تتبصّر الإختلالات والانعكاسات التي تترتّب على المناهج القديمة وأخطائها.

١٠ـ إعداد مقرّرات دراسيّة بشكلٍ منهجيّ وصحيح تراعي جميع الاعتبارات التي تؤسّس لنجاح العمل في هذا الإطار.

١١ـ أن تتحوّل تلك المقرّرات أو بعضها إلى جزء أساس من أي عمل تدريسيّ أو تثقيفيّ إسلاميّ، بل وإجراء دورات تأهيل وإعداد يكون محورها الحياة الأسريّة وثقافة العلاقة الزوجيّة.

١٢ـ إدخال بعض تلك المقرّرات الدراسيّة إلى المناهج التعليميّة للمؤسّسات الأكاديميّة، وتحديدًا المدارس في مراحل دراسيّة مناسبة.

١٣ـ أن يعنى الإعلام الإسلاميّ وتحديدًا المرئيّ والمسموع بتلك الثقافة وبشكل مستديم وغير موسميّ.

١٤ـ إنشاء مجلّات إسلاميّة متخصّصة في هذا الجانب تكون أكثر قربًا من مستوى عامّة المجتمع ولغتها، وتتوفّر فيها جميع العناصر المساعدة على نجاحها.

ملحق حول التعليم االنسوي الإسلامي في الرؤية الاسلامية

التعليم النسوي الإسلامي... كيف يُبنى؟

تنامت في الفترة الأخيرة ظاهرة التعليم النسوي الإسلامي، وعُمل على تقديم المعارف الإسلامية للمجتمع النسوي من خلال أشكال متعددة، أهمّها وجود معاهد متخصّصة تُعنى بتقديم تلك المعارف، ضمن مناهج وبرامج ومقرّرات، تختلف بشكل جزئي بين معهد وآخر، أو بين بلد وآخر.

وقبل الحديث عن مناهج أو مقررات، من الضروري بناء الرؤية التي تقوم عليها تلك المناهج والمقررات؛ فهي البنية التحتية التي يُعتمد عليها في بناء المناهج التعليمية والتربوية واختيار المواد المناسبة، وإعطاء الأولوية لحقول معرفية معيّنة دون سواها. وكلّما كانت هذه الرؤية محكمة وواضحة، كلّما كان البناء عليها أكثر اتقاناً وانسجاماً، مع غاياتها وأهدافها.

وما يؤكّد ضرورة العناية بهذه الرؤية، أنّ الكثير من اللواتي يتلقّين التعليم النسوي الإسلامي يحملن مسؤوليات بيتية وأسرية، وبالتالي فإنّ الوقت الذي يعطينه هو وقت محدود وثمين ـ وكل وقت ثمين ـ وينبغي أن يُصرف بشكل مدروس، وبعناية مركّزة، وبناء على تخطيط مستديم للعملية التعليمية والتربوية؛ حتّى توصل إلى أهدافها بشكل أيسر وأفضل.

إنّ الرؤية التربوية والتعليمية فيما يرتبط بالتعليم النسوي الإسلامي، يجب أن تقوم على الأسس التالية:

١ ـ إنّ المرأة هي إنسان أولاً، فينبغي أن نسأل ماذا يريد الإسلام للإنسان، بلحاظ إنسانيته، وتكوينه الروحي والمعنوي، والذي يستوي فيه كلّ من المرأة والرجل؟

٢ ـ في المرتبة الثانية، يُطرح السؤال الآتي: ماذا يريد الإسلام من المرأة، بما لديها من خصوصّيات وتمايز في بنيتها الجسدية، والنفسية، وفي انعكاس تلك الخصوصيات، وذلك التمايز على المستوى العملي؟

٣ ـ إنّ التمايز بين المرأة والرجل هو تمايزٌ وظيفيٌ. فالرجل له خصوصية في طبيعة الأعمال التي يقوم بها، والمرأة لها خصوصيتها أيضاً، بطريقة يحصل فيها التكامل الوظيفي، دون إغفال لوجود مساحة وظيفية مشتركة بينهما .

٤ ـ إنّ منظومة الوظائف التي تنبثق من كون المرأة إنساناً، ومن خصوصيتها كامرأة ـ سواء كانت زوجة أو مدبّرة منزل أو أماً أو مربية ـ يجب أن يقوم على أساس من العلم والتربية، باعتبار أنّ الإسلام قد عُني كثيراً بتلك الوظائف، وأوجد كافة المفاهيم والقيم، التي تساعد على صناعتها.

٥ ـ إنّ ميادين تلك الوظائف سواء ما يرتبط بالنفس الإنسانية وتزكيتها، أو ما يرتبط بالحياة الزوجية والأسرية والتدبير المنزلي، تحتاج إلى ثقافة واعية وواسعة، وإلى تربية مستديمة، وصناعة علمية هادفة. ولن يكون صحيحاً أن تبادر المرأة إلى العمل فيها بشكل تلقائي، أو بناءً لثقافة سائدة، قد يمتزج فيها الصحيح بالسقيم، ومن دون إعمال النظر فيها، وفي جميع معطياتها، بهدف تصفيتها من الشوائب.

٦ ـ ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار الأولوية الوظيفية؛ فقد يكون الجمع بين وظائف متعددة ممكناً، لكن لا تكون بدرجة واحدة في سلّم الأولويات. فإذا ما أريد بناء الرؤية التي تقوم عليها المناهج التعليمية والتربوية، لا بدّ أن يكون سلّم الأولويات الوظيفية، ومدى اختلاف الأهمية بين الوظائف، على درجة عالية من الوضوح.

٧ ـ ينبغي أيضاً أن تلحظ العمومية الوظيفية في صناعة الرؤية، فمن الممكن أن تكون هناك إمكانية لوظائف وأعمال يقوم بها أفراد المجتمع النسوي، وتكون على قدر من الأهمية لكن من الواضح أنّ الأعم الأغلب من النساء يتجهن إلى ميادين ترتبط بالحياة الزوجية والأسرية والأمومة والتربية وحسن التدبير المنزلي.

٨ ـ مما يجب الالتفات إليه في صناعة تلك الرؤية، ضرورة الاهتمام بالإشباع الثقافي والتربوي والصحي للحاجات العملية والوظائف المناطة بالمرأة. والحذر من الجنوح إلى مجالات تعليمية أو مقررات أو اهتمامات مجانبة لما تحتاجه المرأة، ممّا يدخل في خانة الترف العلمي، وقد يترتّب عليه نتائج سلبية سواء على المستوى التربوي أو غيره.

بناء على ما تقدم، يمكن القول إنّ تلك الرؤية تتضمن تلبية الحاجات العلمية والتربوية لمنظومة الوظائف التي تنسجم مع إنسانية المرأة، وصناعتها لنفسها، وخصوصياتّها الأنثوية ـ سواء على المستوى البدني أو النفسي ـ وما يترتّب على هذه الخصوصيّات من مهام ووظائف، تحتاج إلى بناء وعي إسلامي أصيل، يلبّي الحاجات العلمية والابتلائية، ويبتعد عن الترف العلمي، ويشكّل أولوية وظيفية بالنسبة إليها، دون الجنوح إلى

اهتمامات وظيفية غير أساسية، قد تعني دائرة محدودة أو ضيقة من ذلك المجتمع. كما ينبغي الإلفات إلى أنّ تلك الرؤية هي الرؤية التي نلمس توجيهاً دينياً إليها وتأكيداً نصياً إسلامياً على العناية بها، وهو ما يرتبط بالمجالات التالية:

أولاً: العلاقة مع الله تعالى: وهي الأساس في تلك الرؤية، والتي تتطلب العناية بالأخلاق الإلهية (أي أخلاق العلاقة مع اللّه تعالى)، من حب اللّه تعالى، والثقة به، والرضا بقضائه وقدره، وغيرها من العناوين ذات الصلة، فضلاً عن بعض الموضوعات الفقهية (فقه الأحكام)، التي ترتبط بالجانب العبادي (فقه العبادات)، بالإضافة إلى الموضوعات التي تعنى بمعرفة اللّه تعالى والتقرّب منه.

ثانياً: النفس وتزكيتها: إنّ مجمل ما يهدف إليه الدين يترتب على صلاح النفس وتزكيتها، وهذا يتطلب العناية بالأخلاق والتزكية، وتطهير القلب من الرذائل، كالتكبّر والعجب. وتحليته بالأخلاق الطيبة، وهو ما يستلزم الاهتمام بموضوعات لها علاقة بمجمل علوم الأخلاق وعلم النفس الديني وغيره.

ثالثاً: التعرف على الإسلام: سواء ما يرتبط بأصول الدين، وموضوعات كلامية مختارة، أو ما يرتبط بعلوم القرآن،

وعلم الحديث، والتاريخ الإسلامي، وسير الائمة الأطهار (عليهم السلام)، وغيرها من الموضوعات، التي تتيح امتلاك معرفة شاملة، بمجمل العلوم الإسلامية.

رابعاً: العلاقة الزوجية: والتي هي جهاد المرأة، وتعدّ من الأولويات في تلك الرؤية، وهي تقود إلى الاهتمام بالجانب الأخلاقي، بما يشتمل من عناوين ترفد الحياة الزوجية، وتساعد في بناء علاقة طيّبة وسعيدة، بالإضافة إلى جملة من المفاهيم الثقافية ذات الصلة، والعناوين الفقهية، التي تُدرج تحت عنوان فقه العلاقة الزوجية.

خامساً: الحياة الأسرية: وذلك لما لها من أهمية خاصة في الرؤية الإسلامية؛ فهي تتطلّب عناية تعليمية وتربوية خاصة، وذلك عبر رفدها بمجمل المعطيات الأخلاقية والمفهومية والفقهية، التي تسهم في الحفاظ على العلاقات الأسرية، وتحصينها من العوامل المرضية التي تضعفها، وبالتالي تضعّف المجتمع؛ لأنّ الأسرة هي اللبنة الأساس في تكوينه.

سادساً: العناية بالأبناء: وذلك في مختلف مجالات التربية الدينية والصحية والمدرسية والنفسية والاجتماعية، والتي تندرج في إطار الاهتمام الخاص الذي يوليه الإسلام للتربية، فيقع على عاتق الوالدين عامة، والأم خاصة، تحصيل هذه المعارف بهدف

إيصالها إلى الأولاد؛ فهي تحتاج إلى تعلّم خاص وثقافة هادفة لا تتأتّيان من تلقائية التعلّم الاجتماعي وعفويته.

سابعاً: حسن التدبير المنزلي: والذي يُعنى بجودة الأعمال البيتية وحسن تدبيرها، وهي أعمال ملقاة بشكل أساس على عاتق المرأة، وتحتاج في العديد من عناوينها إلى التعلّم، وتحصيل ثقافة أعلى، وتكوين مهارات أفضل؛ لتكون النتائج أحسن، وتؤدّي فوائدها الإيجابية على المستوى الأسري.

ثامناً: الفكر النسوي: ويتضمّن مجمل المفاهيم والقضايا التي ترتبط بالمرأة من علم كلام نسوي؛ يعنى بدفع الانتقادات التي توجه المرأة في الإسلام، إلى الثقافة النسوية التي تعالج مختلف المفاهيم التي ترتبط بالمرأة في الرؤية الإسلامية، إلى فقه المرأة (أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية)، إلى أحكام العلاقة بين المرأة والرجل، وصولاً إلى معاينة موضوع المرأة في تفسير القرآن وأحاديث أهل البيت(عليهم السلام).

وهنا ينبغي الالتفات إلى ما يلي:

١ ـ إنّ ما قدمناه هو مجرد رؤية أولية، تقوم على مجموعة من الأسس، وتترتبّ عليها نتائجها، من تحديد للمجالات التعليمية والتربوية التي تنسجم معها.

٢ ـ في خطوة لاحقة ينبغي الذهاب إلى صناعة المناهج

التعليمية والتربوية، وفقاً للمجالات التي تمّ تحديدها، وبما يتماهى مع الرؤية وأسسها.

٣ ـ إنّ اعتماد أية مناهج تربوية وعلمية، إذا لم يكن قائماً على رؤية واضحة وصائبة وأصيلة، سيؤدي إلى الكثير من تضييع الجهود والأوقات وسائر الطاقات.

٤ ـ إنّ أي خلل في صناعة المناهج سيؤدّي إلى خلل في الممارسة العملية، وفي الثقافة المعتمدة لدى أفراد المجتمع النسوي، مما يترتب عليه الكثير من النتائج السلبية على أكثر من مستوى.

٥ ـ إنّ نظرة فاحصة إلى مجمل المناهج التعليمية والتربوية التي تعتمد في التعليم النسوي الإسلامي، تُبيّن أنها مناهج نمطية إلى حدّ بعيد، وأنّها تفتقد إلى الرؤية الصحيحة؛ ولذلك هي تتحمّل المسؤولية عن العديد من المفردات الثقافية الخاطئة في مجتمعاتنا.

٦ ـ من أجل تطوير المناهج أو تغييرها، ينبغي تجاوز النمطيات المنهجية الموجودة؛ لأنّ التقليد غير الواعي لما هو سائد، قد يعطّل عملية تطوير المناهج والأخذ بها إلى ما هو أفضل.

٧ ـ ينبغي تجاوز العقد الاجتماعية المؤثرة في المناهج

التعليمية والتربوية، بما فيها عقدة الذكورية؛ لأنّها تساهم في انحراف الصناعة المنهجية عن مسارها الصحيح وأهدافها المنشودة.

٨ ـ المطلوب في الصناعة المنهجية التأصيل وليس التوفيق؛ أي تأصيل المناهج من خلال النصّ الديني وليس مراكمة المناهج؛ لأنّها تؤدي إلى إرهاق المتعلّم وإثقاله.

وأخيراً، يمكن القول إنّه بالإضافة إلى ما ذكرنا من معالجة نظرية للرؤية التعليمية والتربوية، فقد تمّ تجريب العديد من المناهج التعليمية والتربوية في المعاهد التعليمية النسوية، وأصبح بالإمكان إجراء دراسات ميدانية بهدف تقويم تلك المناهج. ولذلك سيكون من المطلوب الإسراع في إجراء مراجعة شاملة لجميع تلك المناهج بهدف تغيير ما يجب تغييره ـ من خلال إزالة العيوب وإضافة ما سقط لخلل في الرؤية أو في تطبيقها ـ في صناعة تؤسس لمرحلة جديدة من التعليم النسوي الإسلامي في أصالته وحداثته معاً.

المرأة ودور التعليم النسوي الإسلامي

لا شك بمطلوبية العلم سواء للمرأة أو الرجل وإن كان مفهوم العلم في الرؤية الإسلامية يتسع يشمل تلك المعارف التي تربط بالجانب الأخروي والديني والغيبي بناءً على التصور الإسلامي لفلسفة الوجود وغاية التخلف ولذا هذه المعارف ترتبط بالمرأة والرجل لا بما هما مرأة ورجل بل بما هما إنسان.

لكن إذا كان العلم في فلسفته يهدف إلى العمل فإن التمايز الوظيفي بين المرأة والرجل سوف يقود إلى التمايز في جانب من المعارف التي تتلقاها المرأة عن تلك المعارف التي يتلقاها الرجل، أي أن المرأة والرجل وإن كانا يشتركان في هامش كبير من المعارف لكن هناك معارف تختص بالمرأة كما هناك معارف تختص بالرجل.

وهذا التمايز على مستوى المعارف مبني على التمايز على أساس الوظائف أي أن المرأة تتصدى لجملة من الوظائف والأعمال التي تنسجم مع استعداداتها وفطرتها بينما الرجل

يتصدى لتلك الأعمال والوظائف التي تنسجم مع استعداداته وفطرته في تكامل وظيفي بينهما اقتضته الحكمة الإلهية.

إن التمايز الوظيفي بين المجتمعين الذكوري والأنوثي لا يعني أفضلية للمرأة على الرجل أو للرجل على المرأة وإنما يعني توجه كل إنسان للقيام بالوظيفة التي تنسجم مع استعداداته وامكاناته من جهة ومع العمل الذي يكون مورد حاجة وفائدة من جهة أخرى، ولذا لم يكن هذا التمايز موجوداً فقط بين المجتمعين الأنوثي والذكوري بل هو موجود أيضاً في المجتمع الذكوري نفسه كما أيضاً في المجتمع الأنوثي نفسه.

نستطيع أن نلمس في النص الإسلامي توجيهاً واضحاً للمرأة للعناية بقضية الزواج والأمومة والحياة الأسرية بجميع مجالاتها ومفرداتها وإن كان هذا الأمر لا يعني تنكباً للمرأة عن القيام بجملة من الأدوار الأخرى التي ترتبط بالجانب الاجتماعي والسياسي والتربوي والصحي... كما أن عناية المرأة بالاجتماع الأسري يدخل في صلب العملية الاجتماعية بل هو الأساس فيها.

وهنا ينبغي القول أن كل هذه الأعمال والوظائف التي تقوم بها المرأة فيما يرتبط بالجانب الأسري والبيتي يجب أن تقوم بها بناءً على ثقافة واعية ومعرفة أصيلة وعلم هادف لا أن

تتم بشكل ارتجالي وبسيط وغير واعي بعيداً عن فعل العلم والمعرفة.

إذا كنا نعتقد أن للأسرة والحياة الأسرية كل تلك الأهمية وأن موضوع العمل الأسري هو الإنسان بشكل أساس وأن الوظائف الأسرية والبيتية متعددة وهي مطلوبة في معظمها من المرأة بشكل أساس وأن للإسلام رؤيته في العديد من القضايا الأسرية بما لديه من معارف وارشادات وأحكام؛ فمعنى ذلك مطلوبية أن تبادر المؤسسة النسوية للتعليم الإسلامي إلى جعل المعارف الأسرية أولوية في برامجها ومناهجها التعليمية والدراسية بل أن المطلوب أن تتم المبادرة إلى تأسيس مؤسسات تعليمية تسوية متخصصة تعنى فقط بالمعارف الأسرية، وهو ما يسهم في جعل بكل المعارف الأسرية والأخلاقيات الأسرية سهلة المنال بالنسبة إلى شرائح سوية واسعة ترغب في تلقي تلك المعارف وتعتني في نيل الثقافة الأسرية والزوجية والأمومية كما أن تلك المبادرة سوف تكرس تلك الثقافية وتجعل منها أولوية في الوعي الجمعي والثقافة السائدة وهو ما سوف يساعد على تصحيح العديد من المفاهيم الخاطئة وعلى حل العديد من المشاكل والأزمات الاجتماعية والأسرية أن المطلوب تأسيس معاهد تعليمية نسوية تعنى بشؤون الأمومة والأسرة وتعمل على تقديم ثقافة الحياة الزوجية وكل المعارف والعلوم والفنون التي

تسهم في بناء أسرة صالحة وحياة زوجية سعيدة حيث أن العديد من تلك المعارف والعلوم هي معارف وعلوم يجب أن تكون موجودة في الرصيد الثقافي للأسرة. إن علوم ومعارف من قبيل فقه الحياة الأسرية والأخلاق الزوجية والأسرية وتدبير المنزل وإدارته والتربية الصحية والدينية والعقلية وعلم نفس الطفل وعلم النفس التربوي ومعارف تربوية أخرى؛ كلها يجب أن تندرج في البرامج التعليمية لتلك المعاهد النسوية المتخصصة.

لم يعد من المقبول أن يستمر التقليد الأعمى للمناهج المعتمدة في المعاهد الذكورية مهما كانت الأسباب والمبرات التي تذكر، ولن يكون الحل بتحشيد كم كبير من المواد التعليمية الذي يجمع جملة من المواد الحديثة إلى المواد التقليدية لأن هذا الفعل التجميعي سوف يثقل كاهل الطالبة من جهة ويشوش عليها هدفية العملية التعليمية من جهة أخرى.

إن المطلوب أن يكون القيمون على العملية التعليمية النسوية في الإطار الإسلامي أساس يمتلكون الوعي المطلوب لأهداف العملية التعليمية وفلسفتها ووظيفتها وليس من الصحيح أن يكتفي بمن يمتلك قدرة ما لإدارة تلك العملية في جانبها التقني من دون أن يمتلك الوعي المطلوب لفلسفة العملية التربوية والتعليمية أن التجربة التعليمية النسوية في الوسط الإسلامي قد بلغت عمراً لا بأس به وجدير بها أن تكون على مستوى متقدم

من النضج التربوي والتعليمي وهي لذلك تحتاج إلى عملية ترشيد تأخذ بها في النهج الصحيح الذي يهدف إلى اعداد المرأة الصالحة والأم المربية والزوجة الودود.... وذلك من خلال مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه، واعتقد أن النقد الهادف يساعد على ترشيد تلك العملية التعليمية إن كان يمتلك القيمون عليها روح النقد والتغيير والاصلاح.

مؤلفات الكاتب

١ ـ دراسات في الفكر الديني، دار التيار الجديد، ١٩٩٨م.
٢ ـ نظرية المعرفة عند صدر المتألهين الشيرازي (رسالة حائزة على شهادة الماجستير من الجامعة اللبنانية)، دار الهادي، ٢٠٠١م.
٣ ـ الإصلاح الديني هل كان هدفاً للحسين عليه السلام، دار الهادي، ٢٠٠١م.
٤ ـ العيد في التصور الإسلامي، دار الهادي، ٢٠٠١م.
٥ ـ مقالات في الفكر السياسي للإسلام، دار الهادي، ٢٠٠١م.
٦ ـ الولاية السياسية: (دراسة فقهية استدلالية في التوقيع الشريف الوارد عن الإمام المهدي(عج)) دار الهادي، ٢٠٠٣م.
٧ ـ فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي (رسالة حائزة على شهادة الدكتوراه من الجامعة اللبنانية) دار الهادي، ٢٠٠٤م.

٨ ـ مطارحات في الإصلاح والتغيير، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
٩ ـ مقالات في ثقافة الاغتراب والعلاقة مع الغرب، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
١٠ـ فلسفة العرفان، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
١١ـ الأسس المبنائية للعرفان وعلاقته مع الشريعة، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
١٢ـ المرأة في الفكر الاجتماعي للإسلام، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
١٣ـ السلطة ـ الإسلام ـ الغرب، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠١٠م.
١٤ـ روافد فكرية: مطارحات في الفلسفة والسياسة والاجتماع الأسلامي، دار الولاء ٢٠١٣،

المترجمات:

١ ـ الفلسفة، مطهري، دار التيار الجديد، ١٩٩٣م.
٢ ـ علم المنطق، مطهري، دار التيار الجديد، ١٩٩٣م.
٣ ـ علم الفقه، مطهري، دار التيار الجديد، ١٩٩٣م.
٤ ـ علم أصول الفقه، مطهري، دار التيار الجديد، ١٩٩٣م.
٥ ـ المرأة في العرفان، جوادي آملي، دار التيار الجديد، ١٩٩٤م.

٦ ـ الإيضاح في شرح بداية الحكمة (٣ مجلدات)، علي كلبايكاني، دار الهادي، ٨/ ٧/ ١٩٩٦م.
٧ ـ المعرفة الدينية في نقد نظرية القبض والبسط، صادق لاريجاني، دار التيار الجديد، ١٩٩٩م.
٨ ـ نسائم العرفان، حسن زاده آملي، دار الهادي، ٢٠٠٠م.
٩ ـ المبدأ والمعاد، نصير الدين الطوسي، دار الهادي، ٢٠٠٠م.
١٠ـ الديموقراطية في ظل ولاية الفقيه، علي كلبايكاني، دار الهادي، ٢٠٠٣م.
١١ـ نظريات الدولة في الفقه السياسي الشيعي، كديفر، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
١٢ـ الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، مصباح اليزدي، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
١٣ـ تمرينات المنطق المظفر، محسن غرويان، دار الهادي، ٢٠٠٦م.
١٤ـ شروح في علم الأصول، شرح الآخوند للكفاية بقلم تلميذه الخوئيني، دار المحجة، ٢٠٠٩م.

الأبحاث:

١ ـ أدوات المعرفة وقيمتها عند صدر المتالهين الشيرازي، مجلة الحياة الطيبة ـ بيروت، شتاء ٢٠٠٠م.

٢ ـ الولي الفقيه ومرجعية الاختيار، مجلة الحياة الطيبة ـ بيروت، شتاء ٢٠٠١م.

٣ ـ الاخلاق والوظيفة المعاصرة، مجلة المحجة ـ بيروت، صيف ٢٠٠٣م.

٤ ـ ولاية الفقيه: دراسة في التوقيع الشريف، مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام ـ بيروت، ٢٠٠٥م.

٥ ـ ظاهرة التكفير: عوامل النشأة وطرق العلاج، مجلة المنهاج ـ بيروت، شتاء ٢٠١٠م.

٦ ـ النبوة وفلسفة الوحي، مجلة صوت الجامعة ـ بيروت، شتاء ـ ربيع ٢٠١٠م.

٧ ـ عاشوراء فلسفة حياة، مجلة نجاة ـ بيروت، خريف ـ شتاء ٢٠١٠م.

٨ ـ ظاهرة التكفير المذهبي بين الديني والفقهي والسياسي، مجلة صوت الجامعة ـ بيروت، صيف ـ خريف ٢٠١٠م.

9 - Le religieux, le juridique et le politique dans le phénomène confessionnel d'excommunion. Le debat. Beyrouth. Hiver 2010.

١٠ـ التعددية الدينية: دراسة في الأسس الفكرية والمعرفية، مجلة الغدير ـ بيروت، شتاء ٢٠١١م.

١١ـ ايران بين المرجعية وولاية الفقيه: جدلية الوصل والفصل

(التيارات السياسية والدينية في إيران، مجموعة من الباحثين)، مركز المسبار للأبحاث والدراسات، دبي، ٢٠١١م.

١٢ـ في فلسفة الإمامة والاختيار الديني، مجلة صوت الجامعة ـ بيروت، شتاء ـ ربيع ٢٠١١م.

١٣ـ الفكر الديني مبنى التغيير عند الإمام الصدر ـ بحث مقدم لمؤتمر كلمة سواء الثاني عشر بعنوان: التغيير الاجتماعي والسياسي عند الإمام الصدر ـ بيروت ٢٠١١م.

١٤ـ فعل الثورة في مواجهة ثقافة الركون، مجلة الحياة الطيبة ـ بيروت، خريف ٢٠١١م.

١٥ـ الدولة الدينية والدولة المدنية: إشكالية العلاقة، مجلة الغدير ـ بيروت، شتاء ٢٠١٢م.

١٦ـ صلاحيات الولي الفقيه واشكالية الاستبداد ـ بحث مقدم لمؤتمر: الدستور الإيراني بين العصرنة والتأصيل الديني ـ بيروت ٢٠١٢م.

١٧ـ في فلسفة الإمامة ومنطق الإجتماع المعرفي، مجلة صوت الجامعة ـ بيروت ٢٠١٢م.

١٨ـ الإسلام والدولة المدنية، مجلة الحياة الطيبة ـ بيروت، ربيع ٢٠١٢م.

١٩ـ دولة الخلافة أم الدولة المدنية، مجلة حمورابي للدراسات، أيلول ٢٠١٢م.

٢٠ـ الاقلية والأكثرية: مباني العيش المشترك في النص القرآني ـ بحث مقدم لندوة (لقاء الكليات والمعاهد الجامعية الدينية في لبنان) ـ بعنوان: (اقلية واكثرية: العيش المشترك واشكالياته من منظور ديني) ـ بيروت، جامعة القديس يوسف ٢٠١٢، م. إلى عشرات المقالات في العديد من الصحف والمجلات اللبنانية.

المصادر والمراجع

الفهرس

إهداء ٥

المقدّمة ٧

وعي العلاقة الزوجيّة ١٩

الحقوق والواجبات بين الشريعة والأخلاق ٣٣

المودّة في العلاقة الزوجيّة ٤١

الحبّ في العلاقة الزوجيّة ٤٩

جهاد المرأة ٥٩

الكلمة الطيّبة ٦٩

الصبر في الحياة الزوجيّة ٧٩

قوامية الرجل على المراة ٨٧

طاعة الزوجة لزوجها ٩٥

موانع الطاعة الزوجيّة ١٠٣

حقوق الزوجة على الزوج ١٠٩

الأذيّة في العلاقة الزوجيّة ١١٩
لباسٌ لهنّ ١٢٧
المشاكل في الحياة الزوجيّة ١٣٣
(١) العفو والصفح في العلاقة الزوجيّة ١٤٣
(٢) العفو والصفح في العلاقة الزوجيّة ١٤٩
خاتمة ١٥٧
ملحق حول التعليم االنسوي الإسلامي في الرؤية الاسلامية ١٦١
المرأة ودور التعليم النسوي الإسلامي ١٧١
مؤلفات الكاتب ١٧٧